E-ISSN: 2706-9931
P-ISSN: 1994-473X

Al-Adab Journal Vol. 68, No. 3, Supplement (September) 2026

The Single Adjective in the Qur'an: An Argumentative Approach to Selected Verses

Asst. Prof. Abdulhasan Abbas Hasan (Ph.D.) (Corresponding Author) [1]

[1] **Department of Arabic Language, College of Basic Education, University of Kufa**

ahasana77@gmail.com

Copyright (c) 2026 **Asst. Prof. Abdulhasan Abbas Hasan (Ph.D.)**

DOI: https://doi.org/10.31973/v1yssc32

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Publication Dates

(Received 2025-11-23) (Revised 2025-12-07) (Accepted 2025-12-09) (Published 2026-09-15)

Abstract:

This research addresses the argumentative function of the single adjective (al-naʿt al-mufrad) in the Qur'an, viewing it as a linguistic device that transcends its traditional grammatical role to perform persuasive, directive, and emphatic functions within an integrated discursive structure. It adopts a methodology that combines Perelman's rhetorical approach and Ducrot's linguistic approach to reveal the interplay between linguistic form and argumentative content. The findings show that the choice of adjectives in Qur'anic discourse is never arbitrary; rather, it reflects intentional pragmatic and axiological dimensions that influence the recipient. Furthermore, the study demonstrates that the single adjective contributes to meaning construction, guides dialogue, and reframes concepts to achieve persuasive and ethical purposes, thereby confirming the Qur'an's unique mastery in employing grammatical categories for argumentative effect.

Keywords: Argumentation, Discourse, Ducrot, Naat, Perlman.

Al-Adab Journal Vol. 68, No. 3, Supplement (September 2026)
E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

النعت المفرد في القرآن الكريم: مقاربة حجاجية لآيات مختارة

أ.م.د. عبد الحسن عباس حسن (المؤلف المراسل)
قسم اللغة العربية، كلية التربية الأساسية، جامعة الكوفة

تواريخ المنشور

الإستلام	النسخة النهائية	الموافقة	النشر الالكتروني
(٢٠٢٥/١١/٢٣)	(٢٠٢٥/١٢/٧)	(٢٠٢٥/١٢/٩)	(٢٠٢٦/٩/١٥)

(مُلَخَّصُ البَحث)

يتناولُ هذا البحثُ حجاجيةَ النعتِ المفردِ في القرآنِ الكريمِ بوصفِه أداةً لغويةً تتجاوزُ وظيفتَه النحويةَ التقليديةَ إلى أداءِ دورٍ إقناعيٍّ وتوجيهيٍّ وتأكيديٍّ، ضمْنَ بنيةٍ خطابيةٍ متكاملةٍ. اعتمدَ الباحِثُ منهجًا يجمعُ بينَ مقاربةِ بيرلمان البلاغيةِ ومقاربةِ ديكرو اللسانيةِ، للكشفِ عن تكامُلِ الشكلِ اللغويِّ والمضمونِ الحجاجيِّ. وأظهرَ البحثُ أنَّ اختيارَ النعتِ المفردِ في النصِّ القرآنيِّ ليس عفوياً، بل يعكسُ قصديةً تداوليةً وقيميةً تُؤثّرُ في المتلقي. كما بيّنَ البحثُ أنَّ النعتَ المفردَ يُسهِمُ في بناءِ المعنى وتوجيهِ الحوارِ، ويُعيدُ تأطيرَ المفاهيمِ بما يُحقّقُ أهدافًا إقناعيةً وأخلاقيةً، مُؤكدًا تميّزَ الأسلوبِ القرآنيِّ في توظيفِ المقولاتِ النحويةِ حجاجيًّا.

الكلمات المفتاحية: حجاج، نعت، خطاب، بيرلمان، ديكرو

مقدمة:

في سبعينيات القرن الماضي ظهرت مقاربات لسانية، سعت لتخطي المفهوم التقليدي للحجاج عند أرسطو، إذ طوّر مريدو أنصار البلاغة الجديدة مفاهيم حجاجية، ترى اللغة في الواقع ذات وظيفة حجاجية؛ ذلك أن الحجاج يستند على الاستدلال العقلي، والتأثير العاطفي وبلاغة الشكلي الخطابي، فظهرت مقاربة وُصِفت بأنها ميتالغوي (Meta-linguistics).

إن فحص المقولات النحوية كلها وعدم الاقتصار على الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية، بات أمرا ضروريا لما لهذه المقولات من أثر حجاجي لا يخفى. فاختير لهذا البحث (النعت المفرد) لفحصه حجاجيا؛ لأن النعت المختار حينها يكشف عن الموقف من القضية. ولهذا فإن طبيعة الحجاج أنه دفاع عن ملفوظ أمام ملفوظات أخرى. **(الرقبي، ٢٠١١، ص ٨٤).**

١. ١. خلفية البحث

الدراسات السابقة التي تطرّقت لحجاجية النعت لا نظفر سوى ببحث يتيم، لم يكن التحليل الحجاجي فيه إلا بخمس صفحات لا أكثر، والبحث هو (حجاجية الوصف في الخطاب القرآني: نماذج) للباحثين: (علي غومه، ود. عباس عبد الرؤوف) نشره في (مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، مج ١٣، ع ١، مارس ٢٠٢١، ص: ١٢١٦-١٢٣٢). كان بسبع عشرة صفحة، سبع صفحات اشتملت على الإطار النظري، وبخمس صفحات حلّل ثلاثة نماذج للوصف، وقد اشتمل فهمه للوصف على كونه أدوات لغوية بالمعنى العام؛ لذلك أدخل في تحليله لحجاجية الوصف: النعت واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة، بعبارة أخرى لم يميّز مقولة النعت المفرد النحوية في تحليل حجاجي، كما فعلنا بهذا البحث، فتداخلت في تحليله مقالات النحو (ممثلة بالنعت المفرد) والصرف (ممثلة باسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة)، فضلا عن اتساع تحليلنا، إذ لم يتجاوز تحليله لمجيء الوصف الواحد بما لم يتعدَّ ست أسطر.

١. ٢. منهج البحث

يستند البحث إلى المنهج الوصفي التحليلي[١] بمقاربتين حجاجيتين، الأولى هي مقاربة بيرلمان في الحجاج البلاغي، في تركيزها على

[١] قيد (التحليلية) ليست منهجا مستقلا، بل هي سمة إجرائية وخاصية ملازمة للمنهج الذي يطبقه الباحث في تفكيك حجاجية النص.

التقنيات اللغوية التي يعتمدها المتكلم للتأثير على المتلقي وإقناعه وترغيبه، وبعبارة أخرى فإن حجاجية بيرلمان تُعنى ببناء الإقناع في الخطاب، والأخرى هي مقاربة ديكرو في الحجاج اللساني في اهتمامها بدراسة البنية اللغوية وأثرها في تشييد الحجة، بدراستها البنية الحجاجية داخل الجملة والعلاقات التداولية التي تنتج المعنى. واستعانة الباحث بهاتين المقاربتين؛ لتداخل ما هو بلاغي بما هو لساني، فكلاهما يُحلل الخطاب اللغوي وتقنياته الحجاجية، فإن كانت بؤرة الحجاج البلاغي المقاصد الإقناعية، فإن مرمى الحجاج اللساني هو الناحية البنيوية والوظيفية للغة في بناء الحجة. إن منهج الباحث ببحثه هذا وباستناده لمقاربتين حجاجيتين: البلاغية واللسانية، فإنما يحاول الكشف عن البنية الإقناعية والوظيفة الحجاجية للنعت المفرد.

١. ٣. أهمية البحث

يقتضي القرآن خطابًا حجاجيًا أن يهدف إلى الإقناع والتأثير، وهو بديلٌ عن العنف في حوار الآخر. وقد اتكأ الحجاج القرآني على الإقناع لضمان مبدأ الحرية الاعتقادية.

ويكشف الباحث أن للمقولات النحوية، ممثلة بمقولة النعت المفرد، حمولة حجاجية، تعدّدت وظائفها، وأشكالها، بما يجعل النظر للنحو ليس بعيدا عن حجاجية الخطاب ومقاصده.

ونُظِرَ بهذا البحث لاستعمال النعت المفرد القرآني: حجاجيا، ومُزِجَ بين النحو والوظائف الحجاجية، بما لا يجعل النحو أسيرًا للتعليمية. وكشف البحث أن أغلب المفسرين لم يلتفتوا إلى أهمية حجاجية النعت المفرد، إلا إشارات يسيرة جدا.

١. ٤. أسئلة البحث

١. ما مدى حجاجية الخطاب القرآني: إقناعا وتأثيرا في توظيف مقولة نحوية كالنعت المفرد؟
٢. هل يفيدنا النعت أكثر ممّا ذكرته كتب النحو من تخصيص النكرة وتوضيح المعرفة عبر مزج دراسة المقولات النحوية بمقاصد الخطاب؟
٣. ما مدى تمثل القرآن الكريم للحجاج في استعماله النعوت المفردة لإقناع المتلقي والتأثير عليه بما يُحسب له حوارا لا إكراها؟
٤. ما وظائف النعت الحجاجية؟ وما أشكاله؟

١. ٤. عينة البحث

يتوافر للقرآن الكريم معطيات تجعله خطابا حجاجيا، إذ كونه خطابا يقتضي الإقناع والتأثير، وموجها إلى متلقٍ فعليٍّ أو محتمل، فضلا عن أن كثيرا من وجوهه التي

يقدم نفسه من خلالها: (تغيير وضع وحل لمعضلة ونبذ العنف واستجابة للأسئلة)، كلّها وجوه ذات علاقة بالحجاج. **(صولة، ٢٠٠٧م، ص ٤٠- ٤٣)**. وعلى ما تقدّم اخترنا عينة لاختبار حجاجية مقولة النعت المفرد ست آيات قرآنية، وقد روعي في اختيارها:

١. تنوُّع الموضوعات دلاليا: (الدعوة والحوار/ التشريع/ العلم بالغيب/ الدعاء/ الإيمان والعمل الصالح/ العاقبة والمآل).
٢. كل نوع من الحجاج استُشهِدَ له بآية مكية وأخرى مدنية تبيانا للخطاب القرآني عموما، ولضيق المقال اختُصِرت العينة.

٢. الإطار النظري

يتجسد الحجاج في أي خطاب مقصود، ويتلبس بألبسة لسانية وأسلوبية شتّى. وإن أردنا رصد أسلوبية الخطاب الحجاجي[٢]، فإننا سنكوّن أفعالا كلامية لها مرجعية مقالية ومقامية مشتركة بين المتكلِّم (المخاطِب) والمتلقي (والمخاطَب). **(الرقبي، ٢٠١١، ٦٨-٦٩)**.

إن أهمية الحجاج (البلاغة الجديدة) تتمثّل بتركيزها على البيان والحجاج كوسائل أساس للإقناع. فالحجاج يتمظهر لغويا بمهارات أسلوبية وتأثيرات بلاغية؛ لكسب تأييد المتلقي بإشباع مشاعره وفكره ليتناغم والقضية. **(بليت، ١٩٩٩، ص ٢٤)**. والحجاج عند ديكرو امتداد وتطوير لنظرية اللغة؛ لذا عُدّ الحجاج جزءا من تداولية الفعل اللغوي **(الرقبي، ٢٠١١، ص ٧٢)**، بل بمنظور حجاجي ترى اللغةُ المعنى الحجاجيَّ الأساس، والمعنى الإخباري والوصفي ثانوي وهامشي. **(النقاري، ٢٠٠٦، ص ٧٠-٧١)** **(العزاوي، ٢٠٠٦، ٣٧-٣٨)**.

إن علائق الحجاج قيمة أساسية للملفوظ وليست قيما مضافة له، وترتبط بمقام تلفُّظه، ويسعى المتكلم من خلالها إلى إقناع المتلقي.

ويستندُ البحث في أهميته لتسويغ دراسة النعت حجاجيا بما ورد:

- في كتاب الإمبراطورية الخطابية: صناعة الخطابة والحجاج، لبيرلمان. **(بيرلمان، ٢٠٢٢، ص ١٧٢، ٢٣٦-٢٤٠)**.
- في بعض الدراسات الحجاجية العربية، ترى أن النعت عنصر لغوي حجاجي بامتياز. **(صولة، ٢٠٠٧م، ص ٢٥٧- ٢٥٨،**

[٢] الخطاب الحجاجي: قدرة الإنسان التواصلية بوصفه ممارسة ناتجة عن تفعيل الكفاءة الحجاجية ذاتها. **(علوي، ٢٠١٠، ٧٦/١)**.

٣٠٨-٣١٠) (**الشهري، ٢٠٠٤، ٤٨٦-٤٨٨**)، (**علوي، ٢٠١٠، ١/٨٧-٨٩**) (**صولة، ٢٠١١، ص ٣٢**) (**عادل، ٢٠١٣، ٨٩**) (**الدريدي، ٢٠١١، ١٨٧-١٨٨**).

- في التراث العربي إشارات تستنطق النعت بأبعد من إفادته التخصيص أو التوضيح في المدونة النحوية، قال عبد القاهر الجرجاني: "هل ظننتم أن وراء ذلك علما، وأن ههنا صفة تُخصّص، وصفة توضّح وتبين، وأن فائدة التخصيص غير فائدة التوضيح" (**الجرجاني، ٢٠٠٤م، ص ٣١**)، فإن ما وراء نص الجرجاني مضمر يُريد منا ألّا نفصل بين المقولة النحوية (النعت) وحمولتها الحجاجية، فالشكل النحوي لا يكون منفصلا عن مقاصده الحجاجية، التي لأجلها جيء به.
- إن مقولة النعت المفرد مثالا على نظام التوابع في العربية يتميّز بثراء فاق نظائره في اللسانيين: الإنجليزي والفرنسي، وهي تصلح لمقاربتها في ضوء مقاربات لغوية متعددة، منها بنيوية أو وظيفية أو توليدية أو إدراكية؛ لصلتها الوثيقة بالنظامين: التركيبي والدلالي. (**العامري، ٢٠٢٥، ١٤-١٥**).

وهنا نتبين أهمية المقاربة الحجاجية لهذه المقولة المهمة.

هذا من ناحية التسويغ النظري. أمّا الذرائع الإجرائية، فسيتناولها الباحث: مناقشة وتحليلا تسويغا.

١.٢. الحجاج

يتذرع خطابُ الإنسان بالحجاجِ عفوًا منذُ أن كان وجه البسيطة، أو قصدًا بعد غدا كائنا بلاغيا حجاجيا منذ اليونان حتى عصرنا. وانطلق الحجاج بوصفه تفاعلا بين متكلم يطلبُ الإقناع، ومتلقٍ وقع عليه التأثير في سياق تواصلي غايته التغيير.

١.١.٢. مفهوم الحجاج

- **تعريفه بوصفه إقناعا يتوسل باللغة**

يُعرّف بيرلمان الحجاج بأنه "درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم" (**صمّود، ص ٢٩٩**) (**بروتون، ٢٠١١، ص ٤٢**) (**الولي، ٢٠١١، ص ١١**). وفي هذا التعريف فإنه يُصنّف الحجاج منهجا علميا أو دراسيا وليس فعلا فحسب، ويُحدّد هدفه بـ(التسليم) عبر مسار عقلي (عرض أطروحات)، وإن لم يذكر اللغة بشكل صريح، فهو مفهوم ضمني من مصطلح (الخطاب).

- **تعريفه بوصفه لغة تسعى للإقناع**

سعت تعريفات الحجاج أن تركز على طبيعته اللغوية، فنُظِرَ له بأنه "العملية التي من خلالها يسعى المتكلم إلى تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطبة بواسطة الوسائل اللغوية" **(صولة، ٢٠١١، ص ٦٨)** **(الشهري، ٢٠٠٤، ٤٥٦)** **(بروتون، ٢٠١١، ص ٨٢)**. وهنا بهذا التعريف التُفِتَ لأمرين لغويين: المتكلم (بوصفه فاعلا) و الوسائل اللغوية (بوصفها وسائل)، وما بينهما غرض الحجاج: تغيير نظام المعتقدات والتصورات (بوصفه مقصدا)، فضلا عن أن وصفه الحجاج بأنه عملية، يستبطن سلسلة من خطوات وأفعال مترابطة.

ووظيفة الحجاج تصيير العقول مذعنة لما يُعرضة، من خلال تقديم الحجج والأدلة ومتواليات الأقوال المؤدية إلى نتيجة ما. **(صمّود، ص ٢٩٩)** **(العزاوي، ٢٠٠٦، ١٦)**، وإن كان على سبيل الاحتمال لا الاستلزام.

إن الحجاج ممارسة تتكون من ثلاثة مُكوِّنات: سياقية (ثقافية) و منطقية ولغوية، فتنتظم بالمكون السياقي: المدخلات، وبالمكون اللغوي: المخرجات، ويربط المكون المنطقي بين المدخلات السياقية والمخرجات اللغوية، فينتج المكون المنطقي متأسّسا على السابق، ومتأثرا باللاحق.**(علوي، ٢٠١٠، ١/٧٧)**.

يضفي الحجاج، على البنية اللغوية لأي خطاب، حيوية فاعلة في سبيل التأثير على المتكلم واستمالته.

٢.٢. الحجاج البلاغي

نشأ الحجاج البلاغي ردّ فعل على اهتمام بلاغة أرسطو بالمحسنات اللفظية والتزيين الجمالي. إن أسبابا عميقة أدّت إلى إهمال بلاغة الحجاج واختزالها في بلاغة المحسنات؛ لذلك أحيا بعض المعاصرين المباحث البلاغية، ليجعلوا من البلاغة مبحثا علميا معاصرا، وأشهرهم: شاييم بيرلمان **(هاشم، ٢٠١٤، ٣٣)** **(بليت، ١٩٩٩، ص ٢٢)**.

إن فصل أرسطو بين الجدل المنطقي والحجاج البلاغي بحسب بيرلمان فصل مصطنع، وجمعهما ثانية عُدَّ أهم إنجازاته. وبهذا المفهوم الجديد أخرج بالحجاج من همّ النخبة إلى الانفتاح على هموم العصر وجميع خطاباته، ورأى كل شيء مرتبط بمقدمات الحجاج، وكيفية تلقّيها، وترتيب الحجج، والغاية من الخطاب. (هاشم، ٢٠١٤، ٣٦-٣٩). فتحول الحجاج إلى علم يهتم بالخطاب عموما.

إن المنطقة التي يتحرك فيها الحجاج منطقة ما هو محتمل، إذ "لا جدوى من الحجاج ضد ما هو يقيني" (بوزناشة، ٢٠١٦، ٩٨)؛ لذلك يقول بيرلمان: "إن استعمال الحجاج يقتضي التخلي عن اللجوء إلى العنف" **(بيرلمان، ٢٠٢٣، ١٤٩)** **(صولة، ٢٠٠٧م، ص ٤٤)**، وإدارة عدم التوافق بوسائله اللغوية الخطابية لا بالقوة **(بروتون، ٢٠١١، ص ١٤)**. إن مجتمعا متحاورا هو مجتمع محاجج؛ وهناك أهمية العوامل الاجتماعية لكي يتطور الحجاج ويزدهر، نحو: توافر مجتمع مسالم وتعدُّدي ومؤمن بالآخر، فلا حجاج في بيئاتٍ حقائقُها مفروضة، وقناعاتها مفروغ منها؛ لأن الحجاج يعتمد التوافق لا القطعية، فلا حجاج بمجتمع شمولي واستبدادي.

١.٢.٢. بعض المفاهيم

١. السياق الحجاجي:

إن للسياق أثر كبير في الحجاج، فإن ما يجعل الحجة "حجة، أو يمنحها طبيعتها الحجاجية هو السياق، فما يمكن أن يكون حجة في هذا السياق قد لا يكون كذلك في سياق آخر" **(العزاوي، ٢٠٠٦، ص ١٢٧، ١٢٩)**، ويُعدّ الفعل الحجاجي فعلاً سياقياً يكتسب معانيَ جديدة بحسب سياقه، ومجال الحجاج هو الخطاب الذي يُعرّف بأنه استعمال اللغة في سياق أو مقام خاص، ممّا يؤكد أهمية السياق في الخطاب **(الشهري، ٢٠٠٤، ص ٣٧)** **(صمّود، ص ٣٥١-٣٥٢)** **(العزاوي، ٢٠٠٦، ص ١٢٠)** **(الراضي، ٢٠٠٥، ٢٢٦)**.

٢. البنية الحجاجية:

وتشتمل على مجموعة أساليب وعناصر، تُوظّف لإقناع المتلقي والتأثير عليه، نحو: استعمال الدليل والروابط والاستنتاجات؛ لتشكيل خطاب مؤثر ومقنع. وإن المتكلم (الباثّ) والمتلقي عنصران متجذران في أية بنية حجاجية، إذ يراعي المتكلم استعداد المتلقي لقبول الحجج الملقاة، والتي ينبغي أن تنطوي على عناصر مقبولة **(الولي، ٢٠١١، ص ١٢)**، مثل: الحجة والمقدمة والوسيلة والنتيجة.

الحجة:[٣]

هي مقولة تستهدف استمالة الآخرين، وعبارة عن عنصر دلالي يقدّمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر، ترد على شكل ملفوظات أو سلوك غير لفظي، وقد تُقدّم ملفوظا؛ ليُضفي مشروعية على نتيجة للتدليل

[٣] ولمفهوم الحجة أكثر من مصطلح يشير له، منها: المُدّعى الحجاجي والأطروحة والموقف الحجاجي.

على دعوى معينة عبر ترتيب منظّم لمعطيات أثيرت من أجل تدعيم نتيجة ما. ويُشترط لصلاحيتها أن ترد في سياق تفاعلي، وتكون مقدماتها ونتيجتها وطرائق الاستدلال كلها مقبولة. **(علوي، ٢٠١٠، ص ٢١٦/١) (بروتون، ٢٠١١، ص ٦٠، ٦٩، ٧٥، ٨٣) (النقاري، ٢٠٠٦، ص ٥٨) (العزاوي، ٢٠٠٦، ١٢٧).**

المقدمة:[٤]

وهي معلوم القضايا، وتمثّل ما هو مشترك بين عدة أشخاص أو بين جميع الناس، عبر تقرير يصنعه المحاجج عن أشخاص أو أحوال أو أحداث. ومن أنواع المقدمات: الوقائع والحقائق والافتراضات والقيم وغيرها. ومن دونها لا يكون الحجاج حجاجا، بل هي اللبنة الأولى للبناء الحجاجي، وما سيُبنى عليه بقية الخطاب. وينبغي للمقدمة أن ترتبط بالدعوى ارتباطا منطقيا، حتى تصلح لتدعيمها. وتفترق المقدمة الحجاجية عن المنطقية، أن الأولى تبقى ملتبسة حاملة لدلالات متعددة، ولكن الثانية واضحة و أحادية الدلالة. **(سالم، ٢٠٠٨، ص ١١١-١١٤) (عادل، ٢٠١٣، ص ٨٧-٨٩) (صولة، ٢٠١١، ص ٢٤) (عاشور، ٢٠١٥، ص ١٥١) (علوي، ٢٠١٠، ٣٠/٢).**

الوسيلة الحجاجية:[٥]

إن الوسائل الحِجاجية باختصار هي: الرابط أو المبدأ العام الذي يربط الدعوى بمقدماتها ويبرهن على صلاحيتها وفقا لعلاقتها بالمقدمات، أي القاعدة التي تُظهر أن النتيجة ناتجة عن المعطيات بشكل مشروع، وهي قسمان **(الشهري، ٢٠٠٤، ٢٦٧)**:

- أدوات لغوية، مثل التكرار والأفعال الكلامية و الروابط الحجاجية.
- وآليات تتمثل بالشكل الخطابي الذي يختاره المرسل ليُنتِج خطابه من خلاله.

النتيجة المرجوة :[٦]

هي ما نريد الوصول إليه عندما نتلفّظ بالحجة، وتتمثّل فيما يستخلصه المخاطب من كلام المتكلم؛ ليتصرف بمقتضى ذلك. **(شارودو، ٢٠٠٨، ٧١) (علوي، ٢٠١٠، ١/ ٢١٦).**

---

[٤] ولمفهوم المقدمة أكثر من مصطلح يشير له، منها: المُعطى الحجاجي والمقدمة الحجاجية والمعطى والافتراض المسبق.

[٥] ولمفهوم الوسيلة أكثر من مصطلح يشير له، منها: المبرّر وآلية الربط والحجة الجزئية.

[٦] ولمصطلح النتيجة أكثر من مصطلح يشير لمفهومه، منها: الاستنتاج والمحصلة والنتيجة الحجاجية.

٢. ٣. الحجاج اللساني

انبثق الحجاج اللغوي عند ديكرو من نظرية أفعال الكلام، عادًّا إياها تطويرا لها. فلأفعال الكلام وظيفة حجاجية عندما تهدف إلى توجيه المتلقي، فقد زاد ديكرو فعلَيْ: الاقتضاء والحجاج للمنظور التداولي، ورأى كل خطاب حجاجي حين يبرز مكانة: القصدية والتأثير والفعالية **(الرقبي، ٢٠١١، ٨٥)** **(علوي، ٢٠١٠، ١/ ٧٨)**، وركّزَ البؤرةَ في الجانب الحجاجي في اللغة، التي هي عنده ليست ناقلة للأفكار والمعلومات، لكنها "وسيلة سجالية في جوهرها" **(صولة، ٢٠٠٧م، ص ٣٥)** **(العزاوي، ٢٠٠٦، ١٤، ١٢٨)** ، تسعى للتأثير على المتلقي. إن الحجاج بحسب ديكرو ليس عنصرا خارجا عن اللغة، أو استدلالا منطقيا، بل اللغة والحجاج فعل لغوي واحد. فعنده يسبق البعد الحجاجي في القول بعدَه الإخباري، فكل قول هو حجاجي بالقوة، وهذا معنى التداولية المدمجة **(الحباشة، ٢٠٠٨، ص ٤٩)**، وهي "النظرية الدلالية التي تعطي الأهمية الأساس للمعطيات التداولية في إطار المعنى". **(عادل، ٢٠١٣، ٩٦)** **(صولة، ٢٠٠٧م، ص ٣٥)**.

وفي الحجاج اللساني ينبغي التمييز بين صنفين من المؤشرات الحجاجية: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية، فالروابط تربط بين قولين أو بين حجتين، نحو: (بل، لكن، حتى، ...) أما العوامل الحجاجية فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية، أي: بين حجة ونتيجة أو مجموعة حجج، ولكنها تحصر وتقيّد الإمكانات الحجاجية لقول ما، نحو: (ربما، تقريبا، قليلا، كثيرا...). **(علوي، ٢٠١٠، ١/٦٣)**. وبهذا البحث سنسلّط الضوء على مؤشر حجاجي، وهو النعت المفرد، بعدّه أداة لغوية "تُمثل حجة للمُرسِل في خطابه، ، وذلك بإطلاقه لنعت معين في سبيل إقناع المُرسَل إليه". **(الشهري، ٢٠٠٤، ٤٨٦)** **(علوي، ٢٠١٠، ١/٨٧)**.

الحجاج بين: بيرلمان وديكرو

يباين حجاج بيرلمان البلاغي حجاج ديكرو اللساني، فمرجعية الأول بلاغية تداولية. وفي هذا البحث سنُدمِج الحجاجين معا، بالتركيز على التقنيات البلاغية، مُحلّلين في الوقت نفسه لغة هذه التقنيات؛ لتعيين كيفية إسنادها للحجج؛ مما يهبُ تحليلنا آليات قوية لفهم عمل الحجاج في الخطاب ككل، وبالتالي سنفهم كيفية اقتناع المتلقي بالخطاب، ومؤازرة البنية اللغوية لهذا الاقتناع. إننا لا يمكننا أن ندرس الخطاب الحجاجي

بلاغيا فحسب، من غير مزج لغوي بنظرية لسانية تؤطر تحليلنا البلاغي؛ لأننا في النهاية ندرس خطابا لغويا؛ لذلك يقول ديكرو عن الحجاجيين البلاغيين واللسانيين أنهم بحثوا عن "الدور الحجاجي الذي يلعبه الكساء اللغوي لهذه الوقائع". **(عادل، ٢٠١٣، ٩٥)**.

إن حجاجية بيرلمان لا تقل عن حجاجية ديكرو ارتباطا بالتقنيات اللغوية. وجعل أول آليات الحجاج: الأدوات اللغوية المحضة، كأدوات التعليل والأفعال اللغوية، وتحدّث عن العناصر الأسلوبية مثل النفي والشرط والتأكيد والربط، وغيرها. **(علوي، ٢٠١٠، ١/٧٩-٩٤)** **(سالم، ٢٠٠٨، ص ١١٦)**.

٢. ٤. حجاجية الكلمة

للسياق أثر مهم في إبراز حجاجية النص، وإن اختيار كلمة ما في سياق ما إن صدرت من عاقل لمعاني الكلمات لا بد أن يكون له قصد حجاجي؛ لأن اللغة تحمل في جوهرها وظيفة حجاجية **(العزاوي، ٢٠٠٦، ص ٨)**، فالعدول من اختيار كلمة إلى اصطفاء أخرى غيرها، يوازيه عدول من معنى إلى معنى آخر. فليس في الخطاب الحجاجي تكرار أو اختيار أو ترادف، إذ قلّما يخلو اختيار لفظ عند التعبير عن فكرة المرسل من دلالته على الحجاج، إذ ليس هناك اختيار لفظي محايد، إلا إذا كان القصد الحجاجي غير وارد: عمدا أو غفلة **(الشهري، ٢٠٠٤، ٤٩٣-٤٩٤)**. و"إن للكلمة خصائص في ذاتها تستمدها من اللغة ومن التداول (الاستعمال) تجعلها مؤهلة بطبيعتها لتكون ذات صبغة حجاجية" **(صولة، ٢٠٠٧م، ص ٧٤)**. ويخصص أحد الدارسين المتخصصين بالحجاج فصلين من كتابه عن (حجاجية الكلمة). **(صولة، ٢٠٠٧م، ص ٦٣-٢٣٤)**.

ولما كان لاختيار الكلمة من أثر في إقناع المتلقي وفي حثّه على الإذعان؛ لذلك عرّف عبد الله صولة الكلمة تعريفا حجاجيا، يختلف عن تعريفها المعجمي والصرفي والنحوي، فقال: "إنها الوحدة المعجمية – الصرفية– الإعرابية معا القابلة لأن تكتسب بالإضافة إلى معناها المعجمي سمات دلالية إضافية من خلال علاقتها بالمقال الذي ترد فيه وبالمقام الذي تُستعمل فيه، وهي قادرة في الوقت نفسه على التأثير في ذلك المقال والمقام بفضل ما لها من قيم دلالية مختلفة بعضها مستمد من اللغة نفسها وبعضها متأتٍ من الاستعمال والتداول" **(صولة، ٢٠٠٧م، ص ٦٨)**. إن تأثير كلمة

في سياق لغوي ما لما علق بها من دلالةٍ وفكرٍ، ينتميان لحضارة مستعمليها وتاريخهم، مما يجعل الكلمة لا مجرد عنصر في بنية لغوية وإنما عنصر فاعل ومؤثر فيها، ملوّنا إياها بلون دلالي مخصوص. **(صولة، ٢٠٠٧م، ص ٦٩)**.

يبدو النظر الحجاجي للمقولات النحوية غريبًا، لكننا نرى الأمر معكوسًا. فتناول هذه المقولات النحوية، كالفاعل والمفعول والنعت، من دون تجديد في المنظور الذي يقاربها، سيعيدها إلى حدود النظر النحوي الشكلاني. لكن النظر الحجاجي يتيح فهمًا أعمق لكيفية توظيف المقولة النحوية للإقناع أو التأثير، واستخدام الأساليب النحوية في بناء الحجة. إن المنظور الحجاجي للغة يرى المعنى الحجاجي هو الأساس، وأن المعنى الإخباري والوصفي ثانوي وهامشي **(النقاري، ٢٠٠٦، ص ٧٠-٧١)** **(العزاوي، ٢٠٠٦، ٣٧-٣٨)**. ولقد أوضحنا الجانب التنظيري في البحث، وعلينا أن نقدّم أمثلة إجرائية.

إن للكلمة بغض النظر عن تصنيفها النحوي (فاعل، مفعول، نعت...) أثرا في حجاجية الخطاب؛ لأن القوة الإقناعية لا تستند على الموقع في التركيب، بل أيضا على سياق النص وعلى الاختيار وعلى الاستراتيجية البلاغية الموظفة في خطاب الإقناع. ولولا ضيق المقام والتزاما بحدود المقال لتكلّمنا عن حجاجية بعض المقولات النحوية كالفاعل والمفعول وغيرهما.

٢. ٥. حجاجية النعت

إن القول بحجاجية الكلمة وتأثير المقولة النحوية بصناعة البيان، يمدّ جسرا بين النحو في مقولاته وبين الإقناع في الخطاب، و"إن اللغة تحمل بعدا حجاجيا في جميع مستوياتها" **(صولة، ٢٠٠٧م، ص ٣٥)**، لا ينذّ منها مستوى لا يؤدي حمولة حجاجية. إن "اختيار الكلمات لأجل التعبير عن الفكر نادرا ما يكون بدون تأثير حجاجي" **(بيرلمان، ٢٠٢٣، ص ٢٦٥)**، ولا ينجو اختيار الكلمات عن قصدية حجاجية. ويمكننا أن نتعرف على القصد الحجاجي لاستعمال لفظ، يمكنه أن يكون قيمة حجاجية ويخلو من الاختيار الحيادي **(بيرلمان، ٢٠٢٣، ص ٢٦٦)**. و"لأجل تمييز الاستعمال الحجاجي للفظٍ ما، من المهم معرفة أن الكلمات أو العبارات التي بإمكان الخطيب أن يستعملها، والتي فضّل عليها الكلمة المستعملة" **(بيرلمان، ٢٠٢٣، ص ٢٦٧)** لإن الاختيار الحجاجي للكلمة من قاموس اللغة

ينبغي أن نكشف عدم براءته أو حجاجيته بمعنى آخر. وإن كانت اللغة تحمل بعدا حجاجيا، فإن النصوص الفنية وعلى قمتها: القرآن الكريم، "تحمل الحجاج فيه خصائص أسلوبية تسمه بميْسم خاص وتطبعه بطابع مميز لا يكاد يشاركه فيه غيره". **(صولة، ٢٠٠٧م، ص ٥٣)**.

ورأى ديكرو أن اللغة أداة حجاج ناجعة يحصل من التركيب بداهة وكذلك من الكلمة أيضا **(صولة، ٢٠٠٧م، ص ٣٥، ٣٦)**. ولكن ليس كل استعمالات اللغة ذات بعد حجاجي، فإن "لطبيعة النص دورا أساسيا في إكساب لغته بعدا حجاجيا أو عدم إكسابها إياه" **(صولة، ٢٠٠٧م، ص ٤٠)**، لكن القرآن الكريم توافر فيه "من المعطيات ما جعله خطابا حجاجيا، وما جعل الحجاج يصيب كثيرا من العناصر اللغوية فيه مثل: الكلمات والتراكيب والصور، وهي تتكرر فيه تكرارا جعل منها خصائص أسلوبه المميزة". **(صولة، ٢٠٠٧م، ص ٤٠-٤١)**.

ومن ملامح الحجاج في تصور بيرلمان والتي تتمظهر في الحجاج القرآني: أنه يتوجه إلى متلقٍ، ومُعبَّر عنه بلغة طبيعية لا أمثلة مصنوعة. ومن أهم عناصر حجاج بيرلمان والتي مصاديقها برزت في القرآن الكريم: القصد، الذي يحدد مجال التخاطب وطبيعة المخاطبين المستهدف التأثير فيهم، والمقام الذي يتعلق بعلاقة المخاطبين مع المقام وموضوعه معا. **(الرقبي، ٢٠١١، ٨٣-٨٤)**. وكل ما مرَّ مراعى في الخطاب القرآني عموما والحجاجي منه على وجه الخصوص.

إن إعداد معطيات الحجاج يقوم على تأويلها وعلى الدلالة التي تسند إليها وعلى الاتفاقات الضمنية في اللغة، والتي منها الانتقاء بطريقة واضحة في استعمال النعت. يتولد هذا عن انتقاء ملحوظ لنعت يوضع في الواجهة وينبغي له أن يُتَمِّمَ معرفتنا للشيء. هذا النعت مستعمل من دون تسويغ؛ لأنه يُنظر إليه بوصفه تعبير عن وقائع لا يرقى إليها الاعتراض **(بيرلمان، ٢٠٢٣، ص ٢٣٦)**. إن الدور الحجاجي للنعوت هو الأبرز للعيان حينما تكون هناك صفتان متناظرتان وبقيمة متعارضة **(بيرلمان، ٢٠٢٣، ص ٢٣٦)**.. بمعنى أن للنعت أثر حاسم حين تتعارض قيمتان حجاجيا. وإن اختيار نعت ما ليس إدراج مقولة نحوية أو الإتيان بتخصيص ما، و"هذا الاختيار نادرا ما يكون بريئا من البنية الحجاجية". **(بيرلمان، ٢٠٢٣، ص ٢٣٧)**.

والفهم التقليدي يُنظر للنعت على أن زيادة في التركيب، "يُؤتى به تأكيدا لمنعوته، فهو كالزائد لكون معناه قد فُهِمَ من بعد منعوته..." **(صولة، ٢٠٠٧م، ص ٣٠٨)**. على صعيد المنطوق، ولكن "على صعيد الضمني فإن هذا النعت يأتي ليُنتج مقتضًى مهمًّا جدا من الناحية الحجاجية؛ وذلك لعدم قدرة الخصم على دحضه ورفضه، فهو من قبيل المقتضى، يبقى رغم امتحانه بالنفي". **(صولة، ٢٠٠٧م، ص ٣٠٩)**. وبعد اختبار عبد الله صولة لمقولة النعت حجاجيا عبر آليات المناطقة المحدثين لمقولتَيْ: النفي والاستفهام **(صولة، ٢٠٠٧م، ص ٣٠٩-٣١٠)**، نجده على صعيد الضمني يتجاوز مجرد وظيفتَيْ: التوضيح والتخصيص النحويتينِ إلى وظيفة حجاجية، هي "الإسهام في إنجاح المحاجّة بإنتاج المقتضيات التي توجه الحوار الوجهة التي تحددها استراتيجية الخطاب الشاملة" **(صولة، ٢٠٠٧م، ص ٣١٠)**، وبالتالي فإن "من مظاهر اختيار المعطيات وجعلها ملائمة للحجاج اختيارَ النعوت أو الصفات". **(صولة، ٢٠١١، ص ٣٢) (عادل، ٢٠١٣، ٨٩)**.

وإننا واجدون أن لكل نعت تأثيرًا حجاجيًا يضعف أو يقوى بحسب منشئ الخطاب ومتلقيه، وأن للكلمة، بغض النظر عن مقولتها النحوية، قوة حجاجية؛ لأن الإقناع يعتمد على السياق والاختيار اللغوي والاستراتيجية البلاغية. فاللغة، أداة حجاج، ليست محايدة، وكل رتبة تُوجِّه حجاجيًا وتحدّد العلاقة بين الفكرة ومنتجها ومتلقيها، وكل مقولة نحوية توظَّف لغاية إقناعية، إذ النحو حجاجيًا حامل للعلاقة بين المقدمات والنتائج في صورة شكلانية.

٣. حجاجية النعت المفرد في الخطاب القرآني

إن مستويات المعجم والتركيب والدلالة والصورة أو القصة كلها تمثُّلات، حاملة للحجاج في القرآن الكريم، بل كل منها منفردا يمثّل موضوعا حجاجيا، يكشف عن خصائص أسلوب القرآن الكريم في حجاجه. **(صولة، ٢٠١١، ص ٥٢)**.

إن اختيار نعت مفرد من دون سواه، عبر اصطفاء مادة معجمية مشتقة بنسق ما، يُخفي رسالة ضمنية حجاجية. وتُعدُّ نعوت فحوى الخطاب، من أهم تجليات الحجاج عبر السلم المفهومي **(علوي، ٢٠١٠، ١٢١/١)**، فاختيار نعت ما هو معطى حجاجي؛ لأن النعوت تنهض بدور حجاجي، إذ اختيارنا لنعت ما يجلو موقفنا من الموضوع ويكشف

عن رؤيتنا الخاصة وتحديد حكمنا، فإسناد نعت لموضوع ما موقف وحكم **(صولة، ٢٠١١، ص ٣٢) (عادل، ٢٠١٣، ٨٩)**. ومن الملاحظ غالبا أن جذور المنعوتات حيادية في اللغة، ولكن نعتها أخرجها من حياديتها وأعطاها بُعدا تقويميا أخلاقيا. ويرى عبد الله صولة أن نعتَ كلمةٍ ما يجعلها في وضع تقويمي، وحاملة لحكم أخلاقي. **(صولة، ٢٠٠٧م، ص ١٤٧)**.

١.٣. النعت مُوَجِّها ومُقوِّما حجاجيا:

١.١.٣. المثال الأول للخطاب المكّي:

ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ طه/ ٤٣-٤٤

السياق العام والبنية الحجاجية للآية

إن سياق الآيتين: التاريخي والديني، يكشف أنه خطاب موجه من الله سبحانه وتعالى إلى النبيين: موسى وهارون (ع) يأمرهما بدعوة تتمثل في مواجهة فرعون الذي (طغى). وتقدم بنية الآية استراتيجية حجاجية تنبني على الإقناع بأسلوب ناعم ومرن، أي: "دعوتهما له تكون بكلام رقيق لين قريب سهل؛ ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع" **(كثير، ١٩٩٩، ٥/ ٢٩٥)**. أما الهدف الحجاجي: فتخلّي فرعون عن طغيانه بأسلوب (لين) أو وصولا لاحتمال التذكر (صحوة العقل) أو الخشية (يقظة الوجدان). إن قاعدة الحوار إن: "كُلَّ مَن يُرِيدُ دُعاءَ إنْسانٍ إلى أمْرٍ يَكْرَهُهُ... أنْ تَكُونَ عِبارَتُهُ لَطِيفَةً ومُقابَلَتُهُ لَيِّنَةً، فَذَلِكَ أجْلَبُ لِلْمُرادِ، فَأمَرَ اللهُ تَعالى مُوسى وهارُونَ... إكْمالَ الدَعْوَةِ في لِينٍ مِنَ القَوْلِ". **(عطية، ٢٠١٥، ٦/ ٥٨٩)**.

وبحسب بيرلمان فإن البنية الحجاجية للآية الكريمة:

- الحجة (المدّعى الحجاجي): ذهابهما لفرعون ومخاطبته باللين لتذكيره أو حمله على الخشية.
- المقدمة (المعطى الحجاجي): لقد طغى فرعون، ومواجهته تحتاج لخطاب ليّن ومؤثر، وليس عنيفا.
- الوسيلة الحجاجية: اعتماد خطاب هادئ لأجل التقبُّل بدلا من النفور.
- النتيجة المرجوة: لعل فرعون يتذكر أو يخشى، فيرجع للإيمان.

إن التحليل الحجاجي للآية بحسب بيرلمان يركز على أدوات الإقناع والجمهور المستهدف **(صولة، ٢٠١١، ص ٢١-٢٢)**، حيث بُني حجاج الآية على:

أولا: قيم الجمهور المخاطَب:

في السياق القرآني فإن فرعون الطاغوت، وهو من فئة الجمهور الخاص، ذي السلطة؛ لذا جاء

الخطاب بـ(قول لين) لاستهداف قيم ممكنة لديه (كالعقل أو الخوف من العواقب)؛ لتليين موقفه، إذ "إن عادة الجبابرة إذا غلظ لهم في الوعظ أن يزدادوا عتوا وتكبرا". **(الرازي، ١٩٨١، ٢٢/ ٤٦)**. وقد استُحضِرت بحجاج الآية قيمتان، هما: العدل (مواجهة الطغيان) والرحمة (اللين في الخطاب).

ثانيا: أدوات الإقناع:

- **تقليص مقدار التهديد والعاقبة؛** لأن فرعون الذي (طغى)، دُعي لحجاجه بالممكن من القول اللين لتجنب إغضابه. فأوجد الحجاج تقابلا بين (طغى) سلوكا سلبيا، وبين (ليّنا) علاجا إيجابيا. إن مراعاة ميول المتلقي فرض، فالقدرة على الإقناع "تقتضي المعرفة بما يمكن أن يحرك الذات التي نتوجه إليها بالخطاب". **(الولي، ٢٠١١، ص ٢٩-٣٠)**.

- **الاستناد إلى المحتمل؛** لأن الحجاج بـ(لعله...) تُظهر أن الغرضَ حجاجٌ بالاحتمال بدلا من اليقين، لتبقى النتيجة مرهونة بقبول المخاطَب، مما يُخفّف التحدّي. وتُعدّ (لعلّ) عاملا حجاجيا، لا تجزم بعلاقة حجاجية مؤكَّدة، تُوجّه المتلقي لنتيجة مرجّحة، مع عدم اطّراح الاحتمالات الأُخَر.

- **التفاضل القيمي**، بتقديم (ليّنا) بديلا فاعلا عن الإصلاح بالعنف، ممّا يعكس حجاجًا قيميًا، فعمِلَ النعت (ليّنا) معززا حجاجيا؛ ليؤكّد أن تأثير اللين أنجع بتقويم السلوك، فيزيد الاقتناع عبر الحسّي والشعوري، و"التأثير ذو الطابع العاطفي الوجداني إنما هو السبيل الممهدة إلى الاقتناع الذي هو ذو طابع عقلي". **(صولة، ٢٠٠٧م، ص ٦١٥)**.

إن للنعت (لينا) في حجاج بيرلمان وظيفتان: تقويمية، لسلوك المخاطِب (موسى وهارون) قبل المخاطَب (فرعون)، بتوجيههم لأسلوب غير تصادمي. ووظيفة توجيهية، إذ قُدِّمَ النعت "لينا" حلًّا عمليا لتحقيق الإصلاح كهدف نهائي، مما يعزز فكرة أن اللين أداة حجاجية فعّالة.

أمّا التحليل الحجاجي للآية عبر الحجاج اللساني وفقا لديكرو، فينظر إلى الحجاج على أنه عملية تلفظية وتوجيه دلالي عبر الروابط اللغوية، وتستند إلى:

التدرج الحجاجي:

- يبدأ الخطاب بمقدمة مُسلم بها: (إنه طغى) كأساس حجاجيّ، ثم ينتقل إلى الوسيلة الحجاجية: (فقولا له قولاً ليناً)، وهنا إجراء يستند إلى المقدمة، ويختتم بتقديم نتيجة حجاجية

مبتغاة: (لعله يتذكر أو يخشى) كغاية مرتقبة.

الروابط (العلاقات) الدلالية:

– الفاء الرابطة (فقولا) تفيد السببية (الطغيان ⟵ الحاجة إلى اللين).

– التضاد بين (طغى) ودلالتها على (العنف) و(لينا) ودلالتها على (اللطف) يُحدث توترًا حجاجيًا يُحلُّ بالاختيار اللغوي للنعت المفرد (ليّنا).

– اختيار (لعل) التي تفيد الترجي، وتتمظهرُ فيها الغاية، وهي (التذكر أو الخشية)، مما يضعف يقينية النتيجة المرجوة، وتجعل الحجاج يميل للمرونة، فتنكسر الصلابة بتضادّ الموقفين.

– إن النعت (لينا) يُمكن تحليله كمقيّد نصّي، يتجه بتأويل المقول نحو التهدئة بدلا من التهديد، مما يرسخ تأثير الحجاج وفاعليته.

إن حجاج ديكرو يعد النعت (لينا) علامة لغوية تُخفّضُ من حدية الموقف، مما يمهّد للاقتناع بالحجة. أما نفسيا، فإن ديكرو لا يغفل تأثير (ليّنا)، إذ يقوّض حجة الطاغوت بالتدرُّج، بدلا من المجابهة، فيتحفّز للتعنُّت. إذ وجدنا وظيفتين للنعت المفرد بحسب ديكرو، أولاها كانت توجيهية، بانتقاء مسار قوليّ لطيف، والأخرى تقويمية، إذ قيّمت الأسلوب الأجدى لتعامل مع فرعون عبر اصطفاء (ليّنا) بديلا عن (حازما، صارما...)، مما يدلّ على وعي بتحليل دلائلي للبدائل الأسلوبية المُنحّاة.

إن اللغة عُدّت وسيلة لتقوية الروابط بين متكلميها، فيما سمّاه ولفنسون بنظرية التأدُّب، التي تعني: مجموعة طرائق متعارف عليها داخل جماعة لغوية معينة؛ تحافظ قدر وافٍ من الانسجام أثناء تفاعل المتكلمين؛ تجنُّبا لما يُحيط أي خطاب تواصلي من تصادُم (**عبيد، ٢٠١٤، ٤١**)؛ لذلك لا بد من ضبط الخطاب بقواعد تحدد وجوه استقامتها الأخلاقية، نسميها بقواعد التهذيب أو التأدُّب (**عبد الرحمن، ١٩٩٨، ٢٣٧**)، وهي كثيرة، وما يهمنا منها هنا: **قاعدة التودُّد**، والتي تقتضي استعمال الأدوات والأساليب والصيغ التي تقوي علاقات التضامن والصداقة والثقة؛ ليحصل الأنس والاطمئنان بين: المتكلم والمخاطب (**عبد الرحمن، ١٩٩٨، ٢٤١**)، **وقاعدة التأدُّب الأقصى** ومراعاة التقرُّب، وتشمل: اللباقة والسخاء والاستحسان والتواضع والتعاطف والاتفاق، ولكل واحد منها صور.

النعت (ليّنًا) بالآية الكريمة ينبئ عن مراعاة قاعدتي: التودد والتأدب الأقصى. فلو حُذف، لخلت جملة (فقولا له قولاً لعله يتذكر أو يخشى) من معناها الحجاجي المستند لهاتين القاعدتين. إذ إن النعت (ليّنًا) حمل المجي به خصوصية مواجهة طاغية يدّعي الإلوهية، ومهّد لقوله تعالى (لعله يتذكر أو يخشى)، فكان مقدمة للنتيجة (التذكر أو الخشية). لذا امتلك النعت مسوّغاً تداولياً عبر التودد والتأدب، ومسوغاً خطابياً؛ لأنه أدّى دور الموضع، وهو المسوغ للنقلة من المقدمات إلى النتائج، مما قلَّلَ من دور الروابط والعوامل الحجاجية.

لقد تجلّى في النعت المفرد (ليّنا):

- توظيفه توظيفا دقيقا لإحراز الإقناع المرجو، بتوازن مدروسٍ بين عنف المتلقي ولين المتكلّم، وفقا لسياقَي: الطغيان والقبول المتوقع.
- كونه قلب الحجاج، مُقوِّضا أو مؤجّلا على الأقل موقف الطاغية تدريجيا، ومُبيّنا أن الخطاب القرآني قد وظّفه في محاولته لإحداث التغيير.

٢.١.٣. المثال الثاني للخطاب المدني:

مَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ النساء/ ٩٢

تمثّل هذه الآية القرآنية الكريمة نموذجًا قرآنيًا غنيًّا بالطاقات الحجاجية والتداولية، بوصفها خطابًا تشريعيًا ذا بعدٍ أخلاقيٍّ، وسنُركّزُ على البنية الحجاجية للآية ودور النعت المفرد (مؤمنة) في تفعيل هذه الطاقات، وكيفية اشتغال الخطاب على تنظيم العلاقة بين الفعل والجزاء، وبين الخطأ والتكفير، من خلال بنية خطابية دقيقة ذات وظيفة إقناعية، تُفعّل وسائط الحجاج القيمي والمعياري.

أولًا: السياق الحجاجي العام

تنتمي الآية القرآنية إلى الخطاب التشريعي الزجري، الذي يهدف إلى تنظيم الجنايات غير المقصودة، مع التركيز على قيم التكفير والتقويم:

١. فمقام الخطاب: يُعد مقام تأديب وتقويم، فقد توسّلَ التشريع لضبط السلوك الممكن حدوثه حين قيّدَ الفعل بالمفعول المطلق (خطأ) لا (عمدا) من دون إلغاء القصدية البشرية. مما يعكس نزعة توجيهية لتعديل السلوك الأخلاقي عبر التلازم بين الخطأ والتكفير.

٢. أمّا وظيفة الخطاب: فتمثّل قصدا توجيهيا مطلوبا للتأثير في السلوك الأخلاقي للمخاطَب، باقتراح حجاجي قائم على ملازمة بين:

الفعل الخطأ والتكفير برقبة مخصوصة.

إن السياق الحجاجي العام تمثّل أمرين، **أولهما:** المقاصد الشرعية بتحقيق العدالة التكفيرية، وعدم الاتجاه للعقاب المحض، **والآخر:** خلق التفاعل مع المتلقي، إذ النص خلق الوعي بكون الخطأ على الرغم من عدم قصديته، فإنه سيترك أثرًا، ينبغي إصلاحه؛ تعزيزا للمسؤولية عند الجماعة المؤمنة.

ثانيًا: البنية الحجاجية

وبحسب بيرلمان فإن البنية الحجاجية للآية الكريمة:

الحجة (المُدّعى الحجاجي):

وجوب التكفير عن القتل الخطأ، بتحرير رقبة مؤمنة ككفارة.

المقدمة (المعطى الحجاجي):

وقوع القتل على مؤمن خطأ وغير متعمّد إلا أنه جناية توجب معالجة شرعية، فتحرير الرقبة يمثل قيمة سامية تعوّض انتهاك الحياة.

الوسيلة الحجاجية:

بتحرير رقبة مؤمنة، إذ عتق إنسان مؤمن من الرقّ يُعدّ وسيلة تكفيرية وتعويضا أخلاقيا وشرعيا عن إزهاق النفس بغير قصد.

النتيجة المرجوة:

إصلاح ما ترتّب على القتل الخطأ، إذ تحقيق العدالة الشرعية بردّ الاعتبار للمجتمع الإيماني وتعويض الفعل غير المقصود عبر ترسيخ المسؤولية الأخلاقية وإعادة التوازن القيمي.

إن النتيجة المتوقعة من البنية الحجاجية للآية القرآنية الكريمة هي إثارة الوعي بالمسؤولية الأخلاقية عند الفرد المسلم، حتى في حال الخطأ، مع التأكيد على أن كل حياة تُقابَل بعمل تحرُّري، ذي منطلق إيماني؛ ليُعيد التوازن القيمي. **وخلاصة النتيجة:** مسؤولية وتوازن.

ثالثًا: النعت (مؤمنة) في الحجاج اللساني (التداولية المدمجة)

ضمّت الآية افتراضات ضمنية مسبقة، منها:

- يحدث القتل الخطأ بين الناس، لكن لا يُعفي من المسؤولية.
- تحرير الرقاب فعل تكفيري مشروع وله قبول دينيا من المشرّع واجتماعيا من الناس.
- ليست كل رقبة صالحة للكفارة، بل اشتُرِطَ أن تكون الرقبة المعتَقة (مؤمنة)، ما يضمر تصورًا معياريا دينيا للعتق، وإن زاد بعض المفسرين البلوغ، " لا يُجزى فيها صبي". **(كثير، ١٩٩٩، ٢/ ٣٧٤)**. أما دور النعت (مؤمنة) في الحجاج اللساني (التداولية المدمجة):

١. أدّى النعت المفرد (مؤمنة) وظيفة تقييدية (Restrictive Function): إذ قيّد نطاق الرقاب المقبولة، مستبعدًا غير المؤمنة عبر حجاج تضحية إقصائي (Argument by Exclusion) **(بيرلمان، ٢٠٢٣، ص ١٥٨)**، أي: ولّدَ النعتُ المفرد (مؤمنة) حجاجًا بالإقصاء، باشتراطه الإيمان في الرقبة المُعْتَقَة، مما يرفع قيمة الفعل التكفيري. إن الكفارة من خلال الآية الكريمة يُلزم أن تكون الرقبة المُحرّرة مؤمنة لتحقيق التكفير، ما يعكس تناظرًا رمزيا. **(بيرلمان، ٢٠٢٣، ص ٤٩٧-٥٠٤)**. أما تحرير الرقبة غير المؤمنة فلا يُجزئ، رغم أنه غير مصرح به. وهو مما يُفهم ضمنًا عبر الإلزام التفسيري (implicature)، وهو نوع من الحجاج التداولي، يجعل التلقي يتجاوز منطوق القول إلى لوازمه.

٢. حجاج المطابقة **(هاشم، ٢٠١٤، ٦١-٦٢) (بيرلمان، ٢٠٢٢، ص ١٣٧)**. القيمية (Argument by Relation): يُشير إلى التكافؤ بين صفة المقتول (مؤمنًا) والرقبة المعتَقة (مؤمنة)، فيُعاد بناء التكافؤ بين المقتول والمُعتَق، في ضوء وحدة الإيمان. وهنا نتج التقويم الأخلاقي: الذي يربط بين جرم المساس بحياة مؤمن (ذنب) وتكفيره بفعل يعزز حياة مؤمن آخر (أجر).

٣. أداة تأطير إدراكي (Framing): يُعيد النعت تشكيل مفهوم (الرقبة) ليركز على الجانب الروحي بدلا من الجسدي، ضمن بنية معيارية دينية. فوجّه النعتُ (مؤمنة) المتلقي لتأويل مفهوم الرقبة لا بوصفها جسدا يُعتق، بل روحا مؤمنة تُكرَّم. وهنا عزّز تلقي السياق الاجتماعي التماسك الاجتماعي وقلّل من الفوارق الطبقية.

٤. النعت (مؤمنة) عمِل معمارا نحويا حجاجيا، فمن الناحية التركيبية، هو ليس تابعًا نحويا فحسب، بل شرط تقييدي ملزِم، يُعيد تصنيف (الرقبة) إلى فئة مخصوصة، فيتحول الاسم النكرة "رقبة" إلى مدلول منضبط حجاجيًا. فتداوليا صار النعت بوصفه تابعا يحمل قيمة إنشائية ضمنية، تفرض شروطًا على تحقق الفعل الكلامي.

٥. تمثل في النعت (مؤمنة) اقتصادا لغويا وتكثيفا حجاجيا، إذا بدلا من ذكرِ تفصيلات مطوّلة، تحققت بالنعت (مؤمنة) كثافة دلالية حجاجية، اختُزِلَ معها معيار القبول في صفة واحدة، لكنها حاسمة ومحمّلة بأكبر قدر ممكن من الشرطية العقدية. فالإيمان مُجسّدا بـ(مؤمنة) هنا ليس عرضًا، بل بنية حجاجية قاطعة.

لقد عـزّزَ النعـت الأبعـاد الأخلاقيـة والإيمانيـة بوصـفه أداة حجاجيـة، فكـان النعـت أداة إقناعيـة تصـوغ تمثُّـل المتلقـي لموضـوع الكفـارة. إذ النعـت (مؤمنـة) عنصـر حجـاجي مركـزي فـي الآيـة، وبثقـل حجـاجي لا يُسـتغنى عنـه فـي إنتـاج خطـاب إقنـاعي، ولا سـيما أن حجـاج الآيـة الكريمـة حجـاج قيمـي تـداولي بلاغـي، اسـتهدف تشـكيل وعـي المـؤمنين مبكـرا وتوجيـه الفعـل. إن النعـت (مؤمنـة) بمقاربـة حجاجيـة لـم يكـن تابعًـا نحويًـا فحسـب، بـل صـار وحـدة حجاجيـة دلاليـة فاعلـة، حوّلـت الآيـة مـن الخطـاب التقريـري التشـريعي إلى الإقناعي.

٢.٣. النعـــت مؤكـــدا حجاجيـــا: (الحجاج التوكيدي للنعت)

١.٢.٣. المثـــال الأول للخطـــاب المكّي:

وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ الأنعام/ ٥٩

فـي هـذه الآيـة المباركـة نـرى سـياقَها كلـه متسـاوقا فـي أداء الدلالـة، لكنهـا دلالـة مُحـتج لهـا بـأدوات لغويـة وبلاغيـة، أدّت كلهـا وظيفـة التأكيـد الحجـاجي للقضـية المـراد إثباتهـا، وكـان النعـت بـ(مُبين) درة هـذا السـلم الحجـاجي. إن كـل الأدوات والـروابط بهـذه الآيـة كُلهـا توجّـه الخطـاب نحـو الاتجـاه الحجـاجي المـراد. فبهـذه الآيـة الكريمـة تضـافرت عـدة أسـاليب لتؤكـد الحقيقـة المـراد الاحتجـاج لهـا وهـو الإحصاء الإلهي لكل صغيرة وكبيرة.

تمثّـل هـذه الآيـة بنيـة حجاجيـة قرآنيـة، أركانـه كاملـة، تنتمـي إلـى الحجـاج الوجـودي المعرفـي (Ontological Argument)، وتقوم بوظيفـة إثبـات تفـرد الله سـبحانه واختصاصـه المطلـق بعلـم الغيـب. ولأجـل إحـداث هـذا الإقنـاع، يُسـتعمل نسـق بلاغـي تـداولي عميـق، تتـداخل فيـه أدوات التقسـيم والتكـرار والقصـر، ثـم اختتـام الآيـة بـنعتٍ مفـردٍ هـو "مبـين"، الـذي يـؤدي وظيفـة حجاجيـة بالغـة الدقـة مـن حيـث تـأطير الصـورة النهائيـة للعلـم الإلهـي فـي ذهنيـة المتلقي.

أولًا: السياق الحجاجي العام

١. أمّـا مقـام الخطـاب: فتُؤَسِّـس الآيـة لعقيـدة العلـم الإلهـي المطلـق، وتُبطِـل أيَّ ادّعـاءٍ بـالعلم الغيبـي مـن دون الله (ككهانـة، عرافـة، أو علـوم بشـرية محدودة).

٢. أمّـا وظيفـة الخطـاب: فهـو إثبـات تفـرد الله بعلـم الغيـب، وإقامـة الحجـة علـى المُشـركين الـذين كـانوا ينسـبون العلم إلى غير الله.

إن السياق الحجاجي العام يخاطب جمهور من المشركين والكافرين، مع إرسال توجيه مضمرٍ للمؤمنين لتثبيت إيمانهم.

ثانيًا: البنية الحجاجية

إن تحليل الآية وفقا لحجاج بيرلمان البلاغي، لا بد من التركيز على آليات الإقناع والقيم المشتركة مع الجمهور

١. الحجة (المدعى الحجاجي): انفراد الله سبحانه وحده بعلم الغيب المطلق المحيط بكل شيء، وأن كل شيء محصيّ عنده بعلم محكم..

٢. المقدمة (المعطى الحجاجي): الله يعلم كل تفاصيل الوجود صغيرها وكبيرها، ببحرها وبرّها، وبكل حالات الوجود. وقد سَوَّغت الآية إسناد هذا المعطى بنسق من الأمثلة التصاعدية، وهي علمه: بالشمول المكاني، وبأدق الأحداث الطبيعية وبالوجود وأضداده.

٣. الوسيلة الحجاجية: استقصاء وتعداد شامل بالصور البلاغية التفصيلية الدقيقة لصور الكون، يُجسّد شمولية العلم الإلهي، فلا يترك موضع شكّ في الإحاطة الكاملة.

٤. النتيجة المتوقعة: إقناع المتلقي بوهن الإنسان عن إدراك الغيب، وأن كل شيء محفوظ في نظام محيط: بلا صدفة أو خفاء، بما يردّه مذعنا لحكمة الله وعلمه المطلق، خاضعا لمشيئته.

إن ترتيب الحجج[٧] تصاعديا مهم؛ لأن عرضها بترتيب يغير من شروط تقبُّلها. **(بيرلمان، ٢٠٢٢، ص ١٧٢، ٢٣٧)**. وهذه آلية بالحجاج البلاغي تُسمّى: الحجاج بالتدرُّج (l'argument par gradation)، وتمثّلت بهذه الآية أن: بُدِئ بالكلّي (الغيب) وانتقل إلى الجزئي (الورقة، الحبّة...)، بل الجزئي في أغمض أحواله (فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ) ومختلف أنواعه (وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ).

وتنتمي هذه الأمثلة إلى ما يصطلح عليه بيرلمان بالحجة التمثيلية (Argument by Example)، وتعني توظيف التمثيل تعزيزا للمقبولية والمعقولية وإحداثا للإقناع؛ ولإظهار شمول علم الله بالغيب، وتضمين الحجج في بنية تصاعدية (ما في البر والبحر، حبة في الظلمات، ما هو رطب أو يابس) تقوّي المدعى عبر التراكم الكمي والنوعي. فتآزرت مجموعة أساليب لذلك، منها:

[٧] ترتيب الحجج: يعني وضع كل حجة في مكانها المناسب؛ لزيادة قوتها وتمكينها في ذهن المخاطب. (الرقبي، ٢٠١١، ٧٣).

- وخلق أسلوب التقديم والتأخير استعارة من جملة (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ)، إذ "جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة" **(الزرازي، ١٩٨١، ١٣/ ١٠)**، وهي استعارة تخييلية، "تنبني على مكنية بأن شُبِّهت الأمور المغيّبة عن الناس بالمتاع النفيس الذي يُدّخر بالمخازن والخزائن المستوثق عليها بأقفال بحيث لا يعلم ما فيها إلاّ الذي بيده مفاتحها. وأثبتت لها المفاتِح على سبيل التخييلية. والقرينة هي إضافة المفاتح إلى الغيب". **(عاشور، ١٩٨٤، ٧/ ٢٧٠-٢٧١)**. إن استعارة المتكلم قد تعلو ألفاظ الحقيقة عنده لوثوقه في أنها أبلغ من الحقيقة حجاجيا، فهي من أدوات السلم الحجاجي، بل هي أبلغ وأقوى الآليات اللغوية للاقتناع. **(علوي، ٢٠١٠، ١/ ١٣٦-١٣٨)**.

الاستعارة حجاجيا:

ليست الاستعارة في الحجاج تزيينا، بل آلية فعّالة لبناء حجاجية القول، بتوضيح فكرة، أو لزيادة التأثير في حجة المتكلم، وهي تقنية لغوية تُقنِع المتلقي وتأخذ فكره لما وراء ظاهر المعنى وصريح القول، استنادا للعلاقة التشبيهية التي تُولّدها الاستعارة. وتتجلى قوتها الحجاجية بما تحمله من دلالة إيحائية يسهّل على المخاطب قبولها والتسليم بها . **(بوزناشة، ٢٠١٦، ص ١٣٥)**. وفي تراثنا البلاغي من عدّ الاستعارة التمثيلية برهانا للمعنى الحجاجي بوساطة غير مباشرة؛ لِما للاستعارة حجاجيا من قدرة في التأثير والإقناع بجذب المخاطَب بالحجاج واستنهاض الفهم وكدّ الذهن وصولا لمعنى يحصل من طرفيها: المستعار منه والمستعار له. يقول عبد القاهر الجرجاني مبيّنا قيمة الاستعارة: "واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية، كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا... فإن كان مدحا، كان أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم... وإن كان ذمّا، كان مسُّه أوجع... ووقعه أشد... وإن كان حجاجا، كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر...". **(الجرجاني، ١٩٩١، ص ١١٥)**.

حجاجية أسلوب القصر

فضلا عن استعمال أسلوب القصر بـ(لا) و(إلا)؛ تأييدا للإقناع بانفراد الله سبحانه بعلم الغيب، ومجيء هذا الأسلوب لثلاث مرات (لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ) و(وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا) و(وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ). إن أسلوب القصر من العوامل الحجاجية التي تحصر وتُقيّد الإمكانات الحجاجية لقول معين، ومن هذه العوامل أدوات، نحو: ربما، تقريبا فضلا عن أدوات القصر، وإن دخول أسلوب القصر بـ(لا وإلّا)، لم يؤثّر بالقيمة الإخبارية أو المحتوى الإعلامي للقول بل أثّرَ بالقيمة الحجاجية للقول، أي: الإمكانات الحجاجية التي يتيحها **(العزاوي، ٢٠٠٦، ٢٧-٢٨)**. ويرى أنسكومبر أن القصر أبْينَ في إكساب الملفوظ بعدا حجاجيا، وأعمق وأنجع في التوجيه نحو النتيجة الضمنية. **(علوي، ٢٠١٠، ١/٣٤)**.

لقد وظّفت الآية النعت المفرد (مُبِين) أداة حجاجية نوعية تؤدي وظيفة إقناعية قاطعة، فكان النعت توكيدا. وعند الزمخشري أن النعت في ﴿كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ كأنه تكرار لقوله: ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾؛ لأن معنى النعت والقصر واحد. **(الزمخشري، ١٩٨٧، ٢/ ٣١)** **(الآلوسي، ٧/ ١٧٢)**. فهنا اتسقت مختلف الأساليب البلاغية للاستدلال على قضية الإحصاء الإلهي لتفاصيل الكون. إن ترابط الأقوال هو ترابط حجاجي يستند إلى أبنية اللغة؛ لأن "موضوع الحجاج في اللغة هو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية". **(صمّود، ص ٣٥٢)**. إن النعت (مبين) يحوّل المفهوم العام للـ(كتاب) إلى كيان موصوف بوظيفة تواصلية (البيان – مبين)، مما رفد الحجة بطابع برهاني. إن النعت (مُبِين) لا يشي عن جميع العلم الغيبي فحسب، بل يُعلن عن وضوح النظام الإلهي، ويشيّد أُسًّا عقلانيا، يمكن الجمهور المتلقّي من تصديقه؛ لأن البيان عمادُ الإقناع.

ولا نغفل أن (واو العطف) رابط حجاجي بين وحدتين دلاليتين أو أكثر في إستراتيجية حجاجية واحدة، لكنه لا يضمن سلامة الحجاج وسلاسته ما لم يشتمل على خصائص، منها التدرُّجية. **(العزاوي، ٢٠٠٦، ٢٩، ٣١)**. وقد تحقّق التدرُّج بهذا السُلَّم الحجاجي، عبر علاقة تراتبية، بأولوية الحجة الأقوى، وهي: امتلاك الغيب فالاستئثار به فالإحاطة بتفاصيله في العالَمين: الغيب والشهادة، ثم الحفظ بكتاب مبين، إذ اختُتِمَ السُلّم بتأثير إقناعي عبر حجاجية النعت المفرد؛ لترسيخ النتيجة النهائية بذهن المتلقي.

ولمّا كان المخاطب بهذا المعاني عرب الجاهلية ممن يرون الله إلها، لكنهم يُشركون بعبادته آلهة صغارا، تحيط بصغائر الأمور، كسقوط ورقة أو غيرها **(الجارم، ١٩٢٣، ١٢٥-١٢٦)**؛ لذا نسفت الآية أصل فكرتهم، ورأت الله أليق بكل شيء من جليلها: (مفاتح الغيب) إلى صغيرها (ورقة أو حبة)، كلها أُحصيت في: كتاب مبين، وعلّلَ ابن عاشور ربط الجمل بالواو في الآية "لقصد زيادة التعميم في الجزئيات الدقيقة، فإحاطة العلم بالخفايا مع كونها من أضعف الجزئيات مؤذن بإحاطة العلم بما هو أعظم أولى به" **(عاشور، ١٩٨٤، ٢٧٢/٧)**، أي: ذكر الجزيئات الدقيقة تُرسخ علمه سبحانه بكل شيء: حقيرا أو عظيما.

ونخلُص حجاجيا إلى أن النعت (مبين) يمكن عدّه من الحجج المتساندة[٨]، وهي الحجج التي تُساق، لتعزيز النتيجة نفسها، فكل ما سيق من تلفُّظٍ قبل (مبين) إنما عزّز حجاجيته. إن متواليات الحجج اختُتِمت في نهاية البنية الحجاجية للآية كلها كختم تصنيفي للموقف، يهتدي به المتلقي إلى تأويل إيجابي أو سلبي وفقا للتقييم الأخلاقي أو المعرفي للمتكلم.

لقد مثّلت الآية الكريمة أنموذجًا لحجاج القرآن الكريم، مؤسس على التمثيل الذهني والتأكيد التصاعدي، تحقيقا لمشروعية المدّعى في وعي المخاطب، فتنامت البنى الحجاجية وتآزرت لإنجاز المعنى الحجاجي، وهو "هو الذي يعتمد في تسلسل الخطاب وتناميه، وهو الذي يحكم في توالي الأفعال وتتابعها" **(العزاوي، ٢٠٠٦، ص ١٣٣)**، وفي الآية توالت صور متعددة تؤكد شمولية العلم الإلهي دون ثغرة أو استثناء، عبر التمثيل الحجاجي، ومن خلال صور مألوفة (ورقة، حبة، رطب، يابس)، تؤسس لحجّة مقنعة بأمثلة حسّية تُعزز الشمول. إن كون اللغة لها وظيفة حجاجية يعني أن التسلسلات الخطابية محددة، بواسطة الوقائع المعبر عنها داخل الأقوال، وبنية هذه الأقوال نفسها، وكذلك المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها **(علوي، ٢٠١٠، ٥٧/١)**. وبذلك يُنهي النعت المفرد (مبين) البنية الحجاجية بوظيفة تتخطى التوضيح وتتجاوزه إلى تدعيم قوة الحجة النهائية. فخرج النعت المفرد (مبين) إلى غرضين:

[٨] الحجج المتساندة: هي الحجج التي يقوّي بعضها بعضا وصولًا للنتيجة المبتغاة. **(الراضي، ٢٠٠٥، ٢٢٨) (علوي، ٢٠١٠، ٢٢٣/١)**.

- **التأطير الدلالي لمفهوم الكتاب**، لم يكن (الكتاب) سجلا غيبيا فحسب بل هو كاشف أن انضباط الوجود وتسطيره في كتاب، تامّ العلم، بلا لبس، فأفاد النعت (مبين) الإحكام والوضوح، وقد حصّنَ منعوته من الشك.
- **تثبيت منطق الإغلاق المعرفي**، بقطع النعت (مبين) الطريق أمام البديل المدّعى؛ لأنه أسند كل العلم إلى مصدر واحد وعالم وظاهر.

وهنا تأسس الاقتناع بسبب الإحالة النهائية على مرجعية لا ريب بصدقيتها، وهو ما يُسمّى: بالاستدلال الحجاجي بالمرجع المحكم. إن النعت كمقولة نحوية لم يكن ليصبح – باتخاذه لوحده مدخلا للتحليل من غير المقاربة الحجاجية – أداة حجاجية تداولية، تُنهي الجدل وتقرّر صورة مطلقة للعلم الإلهي، من دون أي مظنّة لقصور أو غموض.

ومن تطورات النظرية الحجاجية التي يمكن أن نوظّفها حجاجيا، أن نعتمد مفهوم الموضع في بيان حجاجية الآية الكريمة: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾. إن الموضع وهو قواعد عُمَد يمكن أن يُردّ إليها عدد من الحجج والاستدلالات التي تُعتمد في موضوعات متنوعة، أي: أن كل خطاب يُحكم بمجموعة من المبادئ العامة (المواضع)، تؤدي دور المسوّغ للنقلة التي تتم من المقدمات إلى النتائج **(صفا، ٢٠١٦، ٢٦٧-٢٧٠) (الراضي، ٢٠٠٥، ٢٢٧) (صمّود، ص ٣٨٠)**. وبذلك يُقلل الموضع من أثر الروابط والعوامل، ويضطلع بأثر بارز في تحقيق العلاقات التراكبية، التي تحدد قيمة الجمل. وبذلك فإن تركيب الآية الكريمة قد تناوب فيها أسلوبا القصر والتقديم لما حقه التأخير ومقولتا: العطف المتكرر والنعت المفرد، الذي أُنهِيَ الملفوظ الحجاجي به، كلها مواضع داخلية نسجت علائق حجاجية، أبرزت حضورا، تخلّت فيه العوامل والروابط عن وظيفة التوجيه الحجاجي للجملة، لصالح تكثُّلات المواضع.

وممّا تقدّم فإن النعت المفرد (مُبِين) أدّى دورًا محوريًا في تدعيم بنية الآية الحجاجية، عبر تغيير العلم الإلهي من مجرد تصور ميتافيزيقي (ماورائي) إلى منظومة واضحة ودقيقة، مما يزيد من أثر الإقناع في نفس المتلقي.

ونلحظ أن العلاقة الحجاجية في الخطاب المكي مُمثّلا بهذه الآية لم تَسِرْ سيرا برهانيا عبر قالب لغوي، تستقل ملفوظاته عن بعضها، بل سارت في تعالق ملفوظي، يستجيب

فيها لاعتبارات داخلية، مرتبطة بطبيعة الملفوظ ومعناه في ذاته، وليس بأوضاع خارجية أو علاقات منطقية وعقلية تُحّكم قضايا البنى البرهانية (**الراضي، ٢٠٠٥، ٢٢٦**). فما قبل النعت وردت حجج "تقدم لنا مبررات... تجيز توقع نتيجة معينة" (**الراضي، ٢٠٠٥، ٢٢٦**). إن مجيء الملفوظات بكل آية الأنعام/ ٥٦، تعالقت بما زاد من الدرجة الاحتمالية للنتيجة النهائية (كِتَابٍ مُّبِينٍ).[٩]

لقد مارست الآية الكريمة حجاجًا معرفيًا حاسما، في تنقُّلاتها بين الإجمال والتفصيل، وبين الغيب والحسّ، وبين أساليب: القصر والتقديم وتكرارِ المهيمنات. وجاء أثر النعت (مبين) لا تجميليًا، بل أداة بلاغية حجاجية تحسم وتؤسّس لخاتمة جازمة، تُبيّن صورة العلم الإلهي ضمن منطق البيان، لا الإبهام، والإحكام لا الاحتمال. ووفقا للبلاغة الجديدة والتداولية المدمجة، يمكن القول إن النعت "مبين":

- مثّل قمة البناء الحجاجي في الآية.
- وأسهم في إتمام الحجّة بسمة البيان المطمئن.
- حدّد المجال الإدراكي للمتلقي على نحو يُطوي مداخل الشك يوطّد اليقين.

٢.٢.٣. المثال الثاني للخطاب المدني:

((وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ)) البقرة/ ١٢٦

١. السياق العام للآية

سياق مَدني يذكر دعوة النبي إبراهيم (ع) لتأسيس مكة كمركز للإيمان والأمن الاقتصادي. إذ تُستحضر هذه الآية في سياق حجاجي لتأكيد فضل مكة المكرمة وشرعية دعوة نبي الإسلام محمد (ص) كامتداد لدعوة أبيه: إبراهيم (ع). فالسياق يُبرِزُ أن الأمن مقتضى[١٠] سابق لإنجاز أية قيمة مادية أو اقتصادية، وهو ما يُعرَف عند بيرلمان بتراتبية القيم (Hierarchy of Values) (**صولة، ٢٠١١، ص ٢٦**)، ولقد أشار بيرلمان إلى أهم تجليات الحجاج ما يكون بفحوى الخطاب.

[٩] وبالمعنى نفسه تُنظر الآية الكريمة: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ.﴾

[١٠] لا شك في ضرورة الاقتضاء والمقتضى والأثر والأغراض الحجاجية لهما، أسلوبين حجاجيين بلاغيين، يعتمدان ملاءمة الكلام لسياقه ومقام المخاطب. (**علوي، ٢٠١٠، ١٤٢/١-١٨٤**).

٢. التحليل وفقًا لـ "بيرلمان" (الحجاج البلاغي)

أ. عناصر البنية الحجاجية:

١. الحجة (المدعى الحجاجي) (Thesis):

إن إبراهيم طلب الأمن لمكّة ضرورة أولى لقيام العمران وصلاح الإنسان، ليتمكّن أهلها من الاستقرار والعيش الكريم.

٢. المقدمة (المعطى الحجاجي):

تَقدُّم طلب الأمن على طلب الرزق يُعد تسويغًا ضمنيًّا يرتكز إلى ترتيبٍ الأولويات الحجاجية؛ لأنهما شرطا قيام حياة إنسانية مطمئنة، ومن دونهما لا يمكن للناس أن يعبدوا الله أو يعمّروا الأرض.

٣. الوسيلة الحجاجية:

توجيه الطلب إلى مصدر القدرة المطلقة الذي بيده الأمن والرزق عبر الدعاء إلى الله بما ينسجم مع سنن الكون وحاجة البشر.

٤. النتيجة المتوقعة (Expected Conclusion):

تشييد اقتناع ضمني بأن أسبقية الأمن في مكة بديهة عقلية وواقعية، وأن السكينة المادية لا تكون إلا في ظلاله، لأنه مكوّن جوهري لأي مجتمع متحضر، وتأكيد أن العبادة والعمران لا يستقيمان إلا في ظل أمن ورزق من الله.

إن آليات بيرلمان للإقناع، هي:

١. **الاستدلال بالسلطة** (Argument from Authority)، إذ استخدام شخصية إبراهيم (وهو نبي مُعظَّم في ثلاثة أديان) كسلطة مُقنعة لتعزيز شرعية الدعوة.

٢. **القيم المشتركة** (Shared Values)، إذ رُكِّزَ على (الأمن) (النعت: آمِنًا) و(الرزق) قيمًا إنسانية عالمية تُقنع المخاطب بمكانة البلد الحرام.

٣. **الوظيفة التوكيدية للنعت** بحسب بيرلمان (آمِنًا)، فالنعت (آمِنًا) (من الأمن) يُبرز للالتزام الإلهي برعاية مكة وصونها، مما يوطّد الثقة بقدسيتها. وعزز هذه الوظيفة صيغة الأمر التي تفيد الدعاء (اجعلْ)، مما يُظهِر الثقة بالإجابة الإلهية، مما يُقنع المتلقي يقينية الوعد.

فبحسب بيرلمان، تُعدُّ هذه إستراتيجية للتأثير والإقناع تركن للتفاعل العاطفي (الحاجة للأمن) والتفكير الواقعي (السكينة تؤدي إلى العيش الهني).

٢. التحليل وفقًا لـ "ديكرو" (الحجاج اللساني)

أ. عناصر البنية الحجاجية:

١. **الإسناد التداولي** (Pragmatic Attribution)، إذ إسناد النعت "آمِنًا"

إلى "بَلَدًا"، يحمل دلالة الوعد الإلهي، إذ (آمنا) أكثر من مجرد نعت.

٢. **التوجيه الحجاجي** ((Argumentative Orientation): إذ يوجّه التركيب (ٱجْعَلْ ---- آمِنًا) الذهن نحو نتيجة مفترضة؛ لأن المقدمة (طلب الأمن) تُفضي إلى النتيجة (الله سيحققها) لاحقًا في قوله: ((وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا)).

٣. **السياق المشترك** (Common Context): وذلك بافتراض أن المتلقي يعلم منزلة مكة، مما يدعم الاقتناع بالحجة.

ب. الوظيفة التوكيدية للنعت (آمِنًا): بحسب ديكرو، تعمل كداعم حجاجي (Strengthener Argumentative)، فيتحوّل الوصف إلى إشهار عهدي ووثيقة ملتزمة، أي: ليس مجرد أمن عادي، بل أمن مُقدَّس.

٤. الخلاصة: حجاجية النعت المفرد "آمِنًا"

عَمِلَ النعتُ "آمِنًا" موجّها حجاجيا توكيديا، حوّلت (آمنا) إلى وعد إلهي، مما عزز شرعية المقام الديني لمكة، فأبرز قيمة للأمن لتقوية الإيمان. وبحسب بيرلمان فإن (آمنا) حقّقَ تراتبية القيم؛ ليجعل الأمن شرطا سابقا للرزق. أما (آمنا) فبحسب ديكرو قد فرض على المنطوق تأويلاً مُسبَقًا يُبطِل القراءة المحايدة، ويتبنّى موقفًا مضمّنا بالخطاب نفسه. فمن أهمية اختيار المعطيات الحجاجية وجوب تأويلها؛ لأن الملفوظ الحجاجي "يقوم على تعدد الدلالات والتأويلات، فهو معطى محفوف بالغموض". **(صولة، ٢٠١١، ص ٣١-٣٢)** **(عادل، ٢٠١٣، ٨٩)**.

إن النعت (آمنا) تخطّى التوصيف إلى الحثّ القيمي والإقناعي، بما جعل دعاء إبراهيم مثالا لحجاج يستبطن استبصار اجتماعيا واقعيا، يربط الأمن بالتكامل بالرفعة الإنسانية.

إن النعت المفرد "آمِنًا" يمثل الوسيلة الحجاجية المحورية:

١. في ضوء حجاج بيرلمان تمكين قيمي حجاجي يُسبِغ على المكان المقصود (مكة) صفةً وقيمة إيجابية تُرقّيه للنماء، ضمن تتابع قيمي متساند، يُقنع المتلقي بلزوم تحقُّقه.

٢. في ضوء حجاج ديكرو يعمل كمؤشّر حجاجي (Argumentative Marker)، يُقيّد معنى (بلد) ويقود تأويل الآية نحو موقف تقييمي ضمني؛ وخطابها لا يُقدّم بحياد، بل يُفضي إلى موقف حجاجي، يُدرك الأمن مبتغى حتميا وشرطًا مُلِحًّا لكل أملٍ قادم. إن (آمنا) نعت تأكيدي

حجاجي يُضبط مجال التأويل منذ البدء.

٣.٣. النعت مُمَثِّلا حجاجيا:

المثال الأول للخطاب المكي:

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ إبراهيم/ ٢٤.

السياق العام:

سياق الآية المكي، يهدف إلى تثبيت الإيمان وبيان قوته مقابل الكفر **(الآلوسي، ١٣/ ٢١٤)**، موظّفا تمثيلًا حسيًّا (الشجرة) لشرح فكرة مجردة (الكلمة الطيبة).

البنية الحجاجية:

في ضوء الحجاج عند بيرلمان، يمكن تحليل بنية الحجاج في الآية الكريمة كما يأتي:

١. **الحجة (المدعى الحجاجي):**

إن للكلمة الطيبة (الإيمان/القول أو العمل الصالح) تأثيرا أصيلا ومتناميا، كأنه شجرة مباركة ومثمرة، وهي سبب لعلوّ مقام صاحبها وثباته.

٢. **المقدمة (المعطى الحجاجي:)**

الله يضربُ اللهُ الأمثالَ؛ ليُقرّب المعاني المجردة للعقل البشري، ويجعل المجرّد ملموسا.

٣. **الوسيلة الحجاجية:**

التشبيه التمثيلي بين الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة، وهو تشبيه حسيّ برهاني؛ لُيقنع المخاطب عن طريق صورة بصرية محسوسة.

٤. النتيجة المتوقعة:

تشييد قناعة بأن (الكلمة الطيبة)، أي: المنعوت ونعته المفرد، ليسا محضَ قولٍ زائل، بل فعلٌ منتج له أصولٌ متجذّرة وأثرٌ متنامٍ ورسوخٌ في العقيدة، مما يدعو المتلقي إلى تبنّي هذا الأنموذج القيمي: خطاب وسلوكا، والاقتناع به.

تحليل حجاجية النعت المفرد (طيبة) التمثيلي وفقًا لبيرلمان: (الحجاج البلاغي)

أ. عناصر البنية الحجاجية:

١. **التمثيل:**(Analogy)

عبر المقارنة بين الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة عبر علاقة المشابهة:

– الكلمة الطيبة: الإيمان أو كلمة التوحيد.

– الشجرة الطيبة: ثبات الأصل (الجذور) وارتفاع الفرع (الثمر والنفع).

فلقد اتكأ النص على تشبيه تمثيلي، يقارب الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة، بوصفها وجودا حيًّا راسخا ونامياً. إن طرفي التمثيل (الشجرة/ الكلمة) على الرغم من انتمائهما لمجالين مختلفين، لكن التمثيل بحسب بيرلمان بينهما يخلق تفاعلا وتداخلا يُكسب الطرفين قيما إيجابية أو سلبية.

(صـــولة، ٢٠١١، ص ٥٨-٥٩). إن مـا يسـميه بيرلمـان الحجـاج بالتمثيـل[١١]، حيـث تُسـتدعى صـورة حسـية معروفـة: (الشـجرة الطيبـة) لتأييـد صـورة مجـردة: (الكلمـة الطيبـة) مـن خـلال: التشـبيه التمثيلي.

٢. **الاسـتدلال بالصـورة**–(Image Based Argument):

– اسـتخدام صـورة الشـجرة لتحقيـق الإيضـاح والإقنـاع العـاطفي، حيـث يـربط المتلقـي بـين الثبـات المـادي (الشجرة) والثبات المعنوي (الإيمان).

٣ .**المرجعية القيمية** :

– (طيبـة) (نعـت مفـرد) تحمـل قيمـة إيجابيـة، فالطيبـة فـي الكلمـة، تمثّـل فـي صـدقها وإخلاصـها ونفعهـا. والطيبـة في الشجرة تمثّل في نمائها وثباتها.

إن النعـت المفـرد (طيبـة) هـو الوسـيلة الحجاجيـة المركزيـة؛ الـذي يقـود تأويـل الكلمـة والشـجرة كليهمـا نحـو القيمة الإيجابية الخالصة.

٤ .**الجمهور المستهدف** :

– الخطـاب موجـه للمـؤمنين (تثبيتًـا) وللمشـركين (تقريبًـا للمفهـوم المجـرد عبر الصورة المحسوسة).

ب. **الوظيفـة التمثيليـة للنعـت المفـرد "طيبة"**:

– "طيبـة" (نعتًا للشجرة والكلمـة) تعمل كـ رابـط قياسـي يوحّـد بـين المشـبه (الكلمـة) والمشبه بـه (الشـجرة) عبـر صـفة مشـتركة (الخيرية والثبات).

– عند بيرلمان، هذا يُعدُّ إستراتيجية إقناع تعتمـد علـى المشـابهة القيميـة لا المنطـق الصـوري، إذ يـرى بيرلمـان أن التمثيل فـي الحجـاج أداة برهنـة ذو قيمـة حجاجيـة، وعدّها من الحجج القائمة على الاتصال المؤسس لبنية الواقع. **(صـولة، ٢٠١١، ص ٥٦-٥٧)**.

– إن تكـرار (طيبـة) نعتـا للكلمـة والشـجرة يعدّه بيرلمان من محسّنات الحضور، وهي مـن المحسـنات التـي أبقاهـا فـي حجاجـه لأثرها الحجاجي، ورأى أنها ترتبط بالتكرار المهـم فـي الحجـاج. **(بيرلمـان، ٢٠٢٢، ص ٣٨-٣٩)**.

تحليل حجاجية النعت المفرد (طيبة) وفقًا لديكرو: (الحجاج اللساني)

أ. عناصر البنية الحجاجية:

١. العلاقـــــــات التداوليـــــــة (Relations Pragmatic):

– التضـام النصـي: تكـرار لفـظ "مَـثَلًا" و"طيبة" لربط أجزاء الخطاب.

– المقارنـة التضـادية: تُفهم الكلمـة الطيبـة مقابل الكلمة الخبيثة كما في الآية التالية: وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ.

٢. السياق الحجاجي:

[١١] حجة المثال كاستراتيجية حجاجية لتعزيز الحجة وإقناع المتلقي **(بيرلمان، ٢٠٢٣، ص ١٨٧-١٩٠) (الحباشة، ٢٠٠٨، ص ٤٩.(**

– المعرفة المشتركة: افتراض أن السامع يعرف خصائص الشجرة الطيبة (كالنخلة) ليفهم القياس.

– التوجيه الإدراكي: استخدام النعت "طيبة" يوجه الذهن إلى تقبُّل الحجة (فالطيبة صفة مرغوبة).

٣. آليات الإسناد:

– النعت "طيبة" يُسنَد إلى كل من الكلمة والشجرة، مما يخلق توازيًا دلاليًّا يعزز القبول.

ب. **الوظيفة التمثيلية للنعت المفرد "طيبة":**

– عند ديكرو، "طيبة" تعمل كـ مؤشر حجاجي (Argumentative Indicator) يربط بين المقدمات والنتيجة:

– المقدمة ١: الكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة.

– المقدمة ٢: الشجرة الطيبة ثابتة ونافعة.

– النتيجة: إذن الكلمة الطيبة ثابتة ونافعة.

وبعرض النعت (طيبة) على مقاربة ديكرو، فإنه ليس وصفا محايدا، بل يقوم بوظيفة مؤشِّر حجاجي تمثيلي، غايته أن يربط بين المجرد (الكلمة) وبين المحسوس (الشجرة)، ممّا يُنشئ تماثلًا قيميًا بينهما لتقريب الفكرة ولْيَتَمَثَّلَها المتلقي اقتناعا. أما بيرلمان فيرى أن النعت بذاته يُعد تهيئة قيمية، تُبدِل معه الكلمة إلى مثال يُقتدى، مما يمنحه ثقلًا جماليا وأخلاقيا، تُفعِّلُ أثرا وجدانيا في الجمهور. وهنا يغدو النعت المفرد (طيبة) مكوّنًا وظيفيًا يُقيمُ الحجّة، ويستخلص سمات الكلمة من سمات الشجرة، مُنشِّطا الحجاج البلاغي بإثارة عواطف إيجابية مثل: الخير والثبات، ومُفعِّلا الحجاج اللساني عبر إنشاء تماسك نصيّ بين عناصر القول، يُرشِد العقل نحو الاقتناع من دون تفصيل برهاني. فإن النعت (طيبة) لا يقدّم وصفا فحسب، بل يحاجج عبر قيمة كامنة مُتّفق عليها والجمهور، حينَ عمل النعت المفرد في القرآن لا كأداة وصفية فحسب، بل كآلية حجاجية متقدمة تدمج المنطق والعاطفة.

المثال الثاني للخطاب المدني:

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ الحديد/ ٢٠

السياق الحجاجي العام للآية

تُقارَبُ الآية في إطار خطاب قرآني يتغيّا توجيه المخاطبين إلى إعادة ترتيب سُلّم القيم، ومراجعة النظر في مركزية الدنيا في تصوُّرهم. مع إبراز زيف مظاهرها وزخارفها العاجلة، والدعوة للتعلُّق بالآخرة؛ لأنها المقصد الأسمى والجديرة للعمل الصالح.

١. الحجة (المدعى الحجاجي):

الحياة الدنيا المنعوتة بـ(الدنيا) لا تستحق التعلّق بها والانغماس في زخرفها؛ لأنها متاع زائل قائم على اللهو

والمظاهر، لا تستحق أن تكون غاية قصوى للإنسان.

٢.المقدمة (المُعطى الحجاجي):

- النعت المفرد (الدنيا) قيّد دلالة (الحياة)، وصاغها بإطار زائل، في قبال: الآخرة الباقية.
- إدراك أن المؤقت لا يُناسِب أن يكون مُبتغى نهائيا للإنسان.

٣.الوسيلة الحجاجية:

- اعتماد أسلوب القصر بـ(إنما)؛ لتضييق دائرة المعنى بحصر صفة الحياة بالدنيا لنزع الأوهام المتراكمة التي لا جوهر لها في سيرورتنا بالحياة.
- نعت الحياة بـ(الدنيا) يعمل آليةً حجاجية لتقوية معنى (الأدنى) و(الأقلّ شأنا)، وهو توصيف يؤكد أن الانغماس فيها عبث.
- خلق حقلٍ دلالي متلازم؛ ليقنع المتلقي بأن الوجود العاجل طارئ محكوم بالفناء.

٤.النتيجة:

بناء قناعة ثابتة بتأثير: عقلي عبر التراتبية القيمية (دنيا/ آخرة)، وعاطفي من خلال التشبيه الحسّي المؤثر، فانخداع المرء بالحياة (الدنيا) واتخاذها غاية يُفضي إلى الخسران، وإن دعوة العقل السليم للنجاة تأسس على التنبيه للآخرة، والتوجُّه لما هو أبقى وأسمى، وعدم الاغترار بها.

لقد مثّل النعت المفرد (الدنيا) وسيلة الحجاج المركزية، بتقييده (الحياة) بأنها أدنى من (الآخرة)، وجّهَ الضمنيات المسبقة الضمني نحو الانخفاض والزوال؛ لتوجيه المتلقي إلى استبطان حكم سلبي مسبق. إن النعت المفرد: (الدنيا) تحديد حجاجي يهيّئ لقبول المدعى بوصفه أداة تأهيل قيمي، ويُستثمر في هرمية القيم واضعا إياها في تراتبية مع: (الأدنى/الأعلى) و(الزائل/الباقي).

إن (الدنيا) لم يكن مجرد نعت، بل قياسا تمثيليا لغويا، أنشأ علاقة مضمرة بين (الحياة) وصفة الخِسّة أو القِصَر، وهو ما يزيد تأثير الحجة، واختزل دلالة الحياة في صفات الانحدار والتدني والزوال؛ تعميقا للأثر الإقناعي. وكذلك عمِلَ آلية للتكثيف الدلالي، بربط (الحياة) بقيمة رمزية هي (الزائلة)، عبر سياق حجاجي مشحون بالإقناع.

وبخلاصة حجاجية تبيّنَ للنعت (الدنيا) أثرٌ مزدوج:

- فبحسب **بيرلمان:** يُفعّل التمثيل القيمي ويُجهز الموضوع لحكم معياري مشترك. والنعت "الدنيا" ليس وصفًا محايدًا بل آليّة تمثيلية موجهة، تستدعي في ذهن المتلقي تصورًا قيميًا مقارنًا يُؤسّس عليه حكما تقويميا. ف(الدنيا) نعت مُحمَّل بحمولة حجاجية مسبقة، يُصوغ الخطاب ويُسهِم في بناء تسويغٍ لإقناع المتلقي،

الذي يؤمن بالمفارقة بين الدارين: الدنيا والآخرة، عبر التمثيل القيمي المشترك لا عبر البرهان المجرد، من خلال إسناد تقويم (الحياة) إليه سلبا، مما يجعله أهلاً لحجة الزوال والانخداع.

- وبحسب **ديكرو**: يُحدّد زاوية النظر الحجاجي من داخل اللغة، فيدفع المتلقي لفهم الحياة بمنظور سلبي من البداية. فهو إذن نعت موجه تمثيلي ومؤشر تداولي، يعمل كأداة تكثيف دلالي لإقناع المتلقي من خلال اختزال الحياة كلها في قيمة (الدنيا) الحسيّة والرمزية، عبر إدراجه في بنية لفظية تفترض قيمًا معيّنة (الدنيا ≠ العليا) وبالنتيجة (الحياة ≠ الآخرة)، ويُسهم في تثبيت الموقف الحجاجي بفعالية لغوية عالية، ممّا يؤطر خطاب الآية عبر النعت المفرد ضمن نسق تقييم سلبي مُنجز ومسبق، لا يترك فضاء التلقي لقراءة محايدة، ويغلق الباب أمام أية قراءات محايدة.

فهنا النعت إن كان فضلة في ضوء أركان الإسناد، فهو في المعنى الحجاجي عمدة، وركيزة أساس وعنصر بؤري في الإفادة، لا يمكن حذفه.

الخاتمة (خلاصة ونتائج وتوصيات)

خلاصة سريعة ومكثفة

تناول البحث حجاجية النعت المفرد في القرآن الكريم بوصفه أداة لغوية تتجاوز وظيفته النحوية التقليدية إلى أداء دور إقناعي وتوجيهي وتأكيدي، ضمن بنية خطابية متكاملة. واعتمد الباحث منهجًا يجمع بين مقاربة بيرلمان البلاغية ومقاربة ديكرو اللسانية، للكشف عن تكامل الشكل اللغوي والمضمون الحجاجي. وأظهر البحث أن اختيار النعت في النص القرآني ليس محايدا، أو مقتصرا على وظيفتَيْ: التخصيص والتوضيح، بل أبرز قصدية تداولية حجاجية تؤثر في المتلقي، كما بيّن أن النعت المفرد أسهم في تشكُّل المعنى وبناء الحوار، وأعاد تأطير المفاهيم بما يحقق أهدافًا إقناعية وأخلاقية، مؤكدًا تميّز الأسلوب القرآني في توظيفه المقولات النحوية حجاجيًا.

٦. النتائج

١. كشف الباحث أن النعت، في الخطاب: المكي والمدني، أداة حجاجية فعّالة، يؤتى بها لدفع شك أو إنكار أو زيادة توكيد أو تقويم أخلاقي. وبذلك طُوّرت قرآنيا وظائف النعت النحوية وزيد عليها وظائف حجاجية؛ وبذلك تتجاوز وظيفتَا النعت: التوضيح والتخصيص النحويتين إلى التأثير الإقناعي والتوجيهي.

٢. رصدَ الباحثُ أن اختيار النعت في الخطاب القرآني ليس محايدا، بل يحمل قصدية حجاجية تكشف الموقف من الموضوع وتوجّه المتلقي.

٣. اتخذ الباحث من مزج المقاربة البلاغية لبيرلمان والمقاربة اللسانية لديكرو ليكشف تكامل الشكل والمضمون في الخطاب الحجاجي القرآني.

٤. بيّنَ الباحث أن النعت يعمل توجيهًا قيميًا مثل قوله تعالى: (قولًا لينًا) يراعي حال المخاطَب ويؤسس للإقناع بالحوار لا بالعنف.

٥. أبان الباحث أن النعت يؤدي وظيفة تقييدية معيارية مثل قوله تعالى: (رقبة مؤمنة) تحصر المفهوم وتربطه بقيم إيمانية وأخلاقية.

٦. أظهر الباحث أن النعت المفرد يكون أداة تأكيد حجاجي مثل قوله تعالى: (كتاب مبين) لترسيخ حقيقة أو عقيدة في ذهن المتلقي.

٧. فسّر الباحث كثرة ورود النعت المفرد في فواصل الآيات؛ ليعزز أثره الإقناعي ويختتم رسالة الآية القرآنية بمؤكد حجاجي ودلالي.

٨. رأى الباحث تكرار التراكيب النعتية في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: (عمل صالح)، و(فوز عظيم) وغيرها يعمّق الرسالة الحجاجية ويحوّل الألفاظ بحياديتها المعجمية إلى تقييمات أخلاقية.

٩. أثبت الباحث حجاجية النعت تعتمد على السياق، والاختيار المعجمي، والاستراتيجية البلاغية، لا على الموقع النحوي وحده.

١٠. كشف الباحث عن رؤية قرآنية تعد اللغة أداة حجاجية شاملة تتكامل فيها القيم والمعاني والأساليب.

٧. التوصيات:

١. أن يُكلف طلاب الدراسات العليا والباحثين بإنجاز دراسات عن مقولات النحو العربي من منظور حجاجي كما جاء في هذا البحث.

٢. يوصي البحث من خلال دراسته لعينة من الآيات القرآنية أن يتم توسيع هذه العينة لتشمل حجاجية النعت القرآن الكريم كله.

٣. تعزيز الدراسة الحجاجية للمقولات النحوية الأخرى في الخطاب القرآني، عبر تناولها بوصفها مكونات دلالية إقناعية لا مجرد عناصر تركيبية، بما يسهم في كشف الأبعاد التداولية والبلاغية للنص القرآني.

٤. مزج المقاربات الحجاجية البلاغية واللسانية في تحليل الخطاب القرآني؛ لما يتيحه هذا مزج من قراءة شمولية تجمع بين البنية اللغوية والوظيفة الإقناعية، وتكشف عن تماسك الشكل والمضمون.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

الآلوسي، أبو الثناء، روح المعاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

بروتون، فيليب و جيل جوتييه، (٢٠١١م)، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة د. محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبد العزيز، جدة، ط١.

بليت، هنريش، (١٩٩٩م)، البلاغة والأسلوبية: نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة د. محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب.

بوزناشة، نور الدين، (٢٠١٦م)، الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي: دراسة تقابلية مقارنة، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد لمين دباغين سطيف٢، كلية الآداب واللغات.

بيرلمان، شاييم ولوسي أولبرخت تيتكا، (٢٠٢٣م)، المصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة، ترجمة د. محمد الولي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١.

بيرلمان، شاييم، (٢٠٢٢م)، الإمبراطورية الخطابية: صناعة الخطابة والحجاج، ترجمة وتقديم وتعليق د. الحسين بنو هاشم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١.

الجارم، محمد نعمان، (١٩٢٣م)، أديان العرب في الجاهلية، مصر، مطبعة السعادة، ط١.

الجرجاني، عبد القاهر، (١٩٩١م)، أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.

الجرجاني، عبد القاهر، (٢٠٠٤م)، دلائل الإعجاز، تح محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٥.

الحباشة، صابر، (٢٠٠٨م)، التداولية والحجاج: مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط١.

الدريدي، سامية، (٢٠١١م)، الحجاج في الشعر العربي: بنيته وأساليبه، إربد– الأردن، ط٢.

الرازي، الفخر، (١٩٨١م)، مفاتيح الغيب، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

الراضي، رشيد، (٢٠٠٥م)، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، مج (٣٤) ع (١)، الكويت، مجلة عالم الفكر.

الرقبي، رضوان، (٢٠١١م)، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع (٢) مج (٤٠).

الزمخشري، جار الله (١٩٨٧م)، الكشاف، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣.

سالم، محمد، (٢٠٠٨م)، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط١.

شارودو، باتريك ودومنيك منغنو، (٢٠٠٨م)، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري، وحمادي صمّود، ومراجعة صلاح الدين الشريف، دار سيناترا، تونس.

الشهري، عبد الهادي بن ظافر، (٢٠٠٤م)، استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١.

صفا، فيصل إبراهيم، (٢٠١٦م)، المظاهر اللغوية للحجاج: مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، لرشيد الراضي، مراجعة، مج (٣٤) ع (١)، الكويت، المجلة العربية للعلوم الإنسانية.

صمّود، حمادي، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب منوبة، تونس.

صولة، عبد الله، (٢٠٠٧م)، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط٢.

صولة، عبد الله، (٢٠١١م)، في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط١.

عادل، عبد اللطيف، (٢٠١٣م)، بلاغة الإقناع في المناظرة، بيروت، منشورات ضفاف، ط١.

عاشور، محمد الطاهر، (١٩٨٤م)، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، ط١.

العامري، محمود عباس (٢٠٢٥م)، النحو والبرهان: مقاربة دلالية منطقية لنظام التوابع النحوية، بغداد، دار قناديل. ط١.

عبد الرحمن، طه، (١٩٩٨م)، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط١.

عبيد، حاتم، (٢٠١٤م)، نظرية التأدُّب في اللسانيات التداولية، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج ٤٣، ع ١، ديسمبر.

العزاوي، أبو بكر، (٢٠٠٦م)، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط١.

عطية، ابن، (٢٠١٥م)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح مجموعة من الباحثين، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١.

علوي، حافظ إسماعيلي، (٢٠١٠م)، الحجاج مفهومه ومجالاته، الجزء الأول، الحجاج: حدود ومفهومات، والجزء الثاني: مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١.

كثير، ابن، (١٩٩٩م)، تفسير القرآن العظيم، تح سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، ط٢.

النقاري، حمو (٢٠٠٦م)، التحاجج: طبيعته ومجالاته ووظائفه، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ط١.

الـولي، محمد، (٢٠١١م)، مـدخل إلـى الحجـاج: أفلاطـون وأرسـطو وشـاييم بيرلمـان، الكويـت، مجلة عالم الفكر، ع (٢) مج (٤٠).

هاشـم، الحسـين بنـو، (٢٠١٤م)، نظريـة الحجـاج عنـد شـاييم بيرلمـان، دار الكتـاب الجديـد المتحدة، بيروت، ط١.

References

Al-Jarim, Muhammad Nu'man, (1923), The Religions of the Arabs in the Pre-Islamic Era, Egypt, Al-Sa'adah Press, 1st ed.

Al-Jurjani, Abd al-Qahir, (1991), The Secrets of Eloquence, edited and annotated by Mahmud Muhammad Shakir, Al-Khanji Library, Cairo.

Al-Jurjani, Abd al-Qahir, (2004), The Signs of Inimitability, edited by Mahmud Muhammad Shakir, Al-Khanji Library, Cairo, 5th ed.

Al-Habasha, Sabir, (2008), Pragmatics and Argumentation: Introductions and Texts, Pages for Studies and Publishing, Damascus, 1st ed.

Al-Duraydi, Samia, (2011), Argumentation in Arabic Poetry: Its Structure and Styles, Irbid, Jordan, 2nd ed.

Al-Razi, Fakhr al-Din al-Razi, (1981), Keys to the Unseen, Beirut, Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi. Al-Radi, Rashid, (2005), Linguistic Argumentation in Anscombre and Ducrot, Vol. (34) No. (1), Kuwait, Alam Al-Fikr Journal.

Al-Raqbi, Radwan, (2011), Pragmatic Argumentative Reasoning and its Mechanisms, Alam Al-Fikr Journal, Kuwait, No. (2) Vol. (40).

Al-Zamakhshari, Jarallah (1987), Al-Kashshaf, Beirut, Dar Al-Kitab Al-Arabi, 3rd ed.

Salem, Muhammad, (2008), Argumentation in Contemporary Rhetoric, Beirut, Dar Al-Kitab Al-Jadeed, 1st ed.

Charrado, Patrick and Dominique Maingueneau, (2008), Dictionary of Discourse Analysis, translated by Abdelkader Al-Mahiri and Hammadi Sammoud, reviewed by Salah Al-Din Al-Sharif, Dar Sinatra, Tunisia.

Al-Shahri, Abdelhadi Bin Thafir, (2004), Discourse Strategies: A Pragmatic Linguistic Approach, Dar Al-Kitab Al-Jadeed Al-Muttahida, Beirut, 1st ed. Safa, Faisal Ibrahim, (2016),

Linguistic Aspects of Argumentation: An Introduction to Linguistic Argumentation, by Rashid Al-Radi, reviewed, Vol. (34) No. (1), Kuwait, Arab Journal of Humanities.

Samoud, Hammadi, The Most Important Theories of Argumentation in the Western Tradition from Aristotle to the Present Day, Faculty of Arts, Manouba, Tunisia.

Sawla, Abdullah, (2007), Argumentation in the Qur'an Through Its Most Important Stylistic Features, Dar Al-Farabi, Beirut, 2nd ed.

Sawla, Abdullah, (2011), On Argumentation Theory: Studies and Applications, Meskiliani Publishing and Distribution, Tunisia, 1st ed.

Adel, Abdul Latif, (2013), The Rhetoric of Persuasion in Debate, Beirut, Difaf Publications, 1st ed.

Ashour, Muhammad Al-Tahir, (1984), Liberation and Enlightenment, Tunisia, Tunisian Publishing House, 1st ed. Al-Amiri, Mahmoud Abbas (2025), Grammar and Proof: A Logical Semantic Approach to the System of Syntactic Functions, Baghdad, Qanadil Publishing House, 1st ed.

Abdul Rahman, Taha (1998), Language and Balance or Mental Proliferation, Beirut, Arab Cultural Center, 1st ed.

Ubaid, Hatem (2014), The Theory of Politeness in Pragmatic Linguistics, Alam Al-Fikr Journal, Kuwait, Vol. 43, No. 1, December.

Al-Azzawi, Abu Bakr (2006), Language and Argumentation, Al-Umda Publishing, Casablanca, 1st ed.

Atiya, Ibn (2015), The Concise Commentary on the Interpretation of the Noble Qur'an, edited by a group of researchers, Qatar, Ministry of Endowments and Islamic Affairs, 1st ed. Alawi, Hafiz Ismaili, (2010), Argumentation: Its Concept and Fields, Part One: Argumentation: Limits and Concepts, and Part Two: Its Concept and Fields, Modern Book World, Irbid, Jordan, 1st ed.

Kathir, Ibn, (1999), Interpretation of the Great Qur'an, ed. Sami bin Muhammad Al-Salama, Dar Tayyiba, Riyadh, 2nd ed.

Al-Naqqari, Hamou (2006), Argumentation: Its Nature, Fields, and Functions, Casablanca, Al-Najah Al-Jadeeda Press, 1st ed.

Al-Wali, Muhammad, (2011), An Introduction to Argumentation: Plato, Aristotle, and Chaim Perelman, Kuwait, Alam Al-Fikr Journal, No. (2), Vol. (40).

Hashim, Al-Hussein Banou, (2014), Chaim Perelman's Theory of Argumentation, Dar Al-Kitab Al-Jadeed Al-Muttahida, Beirut, 1st ed.